المركز القومي للترجمة
المشروع القومي للترجمة

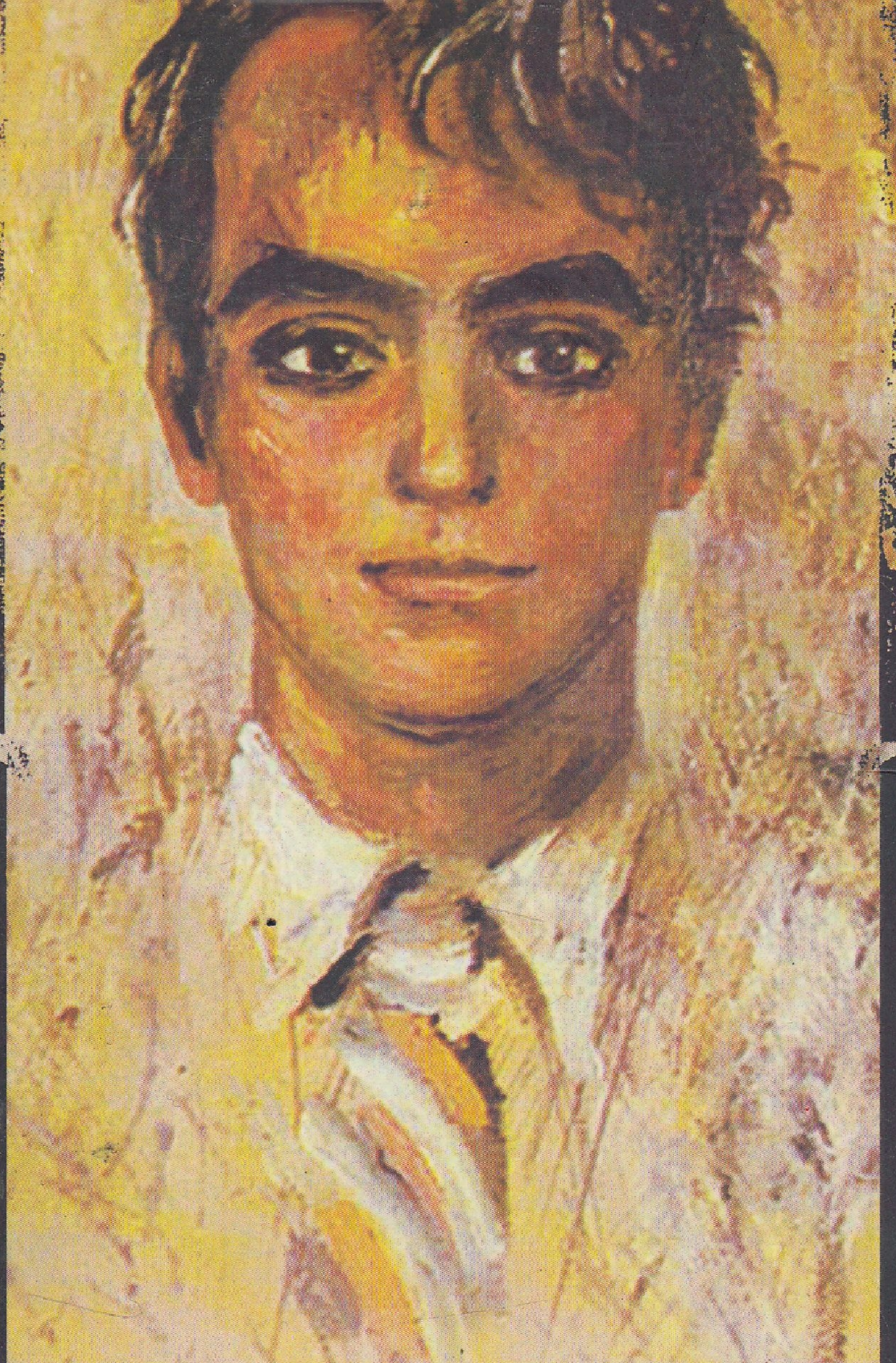

لوركا

الديوان الكامل

الجزء الأول

ميراث الترجمة

ترجمة: خليفة محمد التليسي

تقديم هذه الطبعة: رشا أحمد إسماعيل

1718

لــوركـــا

الديوان الكامل

الجـزء الأول

المركز القومي للترجمة
إشراف : جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة
المشرف على السلسلة : مصطفى لبيب

- العدد: 1718
- لوركا: الديوان الكامل (الجزء الأول)
- خليفة محمد التليسي
- رشا أحمد إسماعيل
- 2011

هذه ترجمة كتاب:

لوركا

الديوان الكامل (مج ١)

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة.

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

لوركا

الديوان الكامل

الجزء الأول

ترجمة: خليفة محمد التليسى

تقديم هذه الطبعة: رشا أحمد إسماعيل

2011

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

جارثيا لوركا، فديريكو، (١٨٩٨-١٩٣٦)
الديوان الكامل، (الجزء الأول)؛ ترجمة: خليفة محمد التليسى
تقديم هذه الطبعة: رشا أحمد إسماعيل
القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١١
٥٧٢ ص؛ ٢٠ سم
١- الشعر الإسبانى.
(أ) التليسى، خليفة محمد (مترجم)
(ب) إسماعيل، رشا محمد (تقديم)
(جـ) العنوان ٨٦٠

رقم الإيداع ٢٠١١/٣٨١٤
الترقيم الدولى I.S.B.N. 978 - 977 - 704- 459 - 2
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

تقديم هذه الطبعة

ولد فيديريكو غارسيه لوركا فى عام ١٨٩٨ فى قريةٍ صغيرةٍ تسمى فونتى باكيروس Fuente Vaqueros (نبع البَقَّارين) أو (عين رعاة البقر) تابعة لمدينة غرناطة، فى كناية عن علاقة هذه الأرض القروية بالأبقار وبالرعى وبالثيران وبكل ما هو إسبانى أصيل وفى إشارة إلى أن هذه الأرض ولادة، تلد كثيراً من رعاة الأبقار والمشتغلين والمهتمين بالثيران. ولد لأبٍ غنى من الإقطاعيين أصحاب الأراضى الزراعية الشاسعة ولأمٍ كانت تعمل بالتدريس وكانت هى صاحبةُ الفضلِ عليه فى وضعه على الطريق الصحيح وتعليمه الآداب والفنون. وبين الريف الغرناطي والمدينة مرت طفولة لوركا، وهى التجربة الأولى التى حفرت فى ذاكرته ووجدانه كثيراً مما سيظهر لاحقًا فى شعره فقد نقل الشاعر صورةَ لطفولته تعجُ بمشاهد السعادة لطفلٍ ريفىٍ غنىٍ وسعيد، عاشق لمسرح العرائس وعضو فى مسرح الشماسين فى الكنيسة ومتذوق فطن للطبيعة التى نشأ بها، لا يمل ولا يكل من اكتشاف كل ما هو جديد حوله. طفل شديد الحساسية لما يحدث في الريف الأندلسى من مآسى يشهدها فى طفولته وهو ما سيترجم فى أوائل أشعاره. لقد قالها لوركا أكثر من مرة

"أنا أحلم الآن بما عشته طفلاً" ومما لا شك فيه فقد تمتع منذ نعومة أظافره بموهبة شعرية متخيلة صافية ونقية.

ولكن من المؤكد أيضًا أن طفولته احتوت على عقدةٍ يصعب تخطيها ستكون هي السبب الرئيسي في صقل شخصيته بشكلٍ بارز. إن مجمل أعماله تتجه دومًا وبإلحاح نحو الخط الفاصل بين مرحلة الطفولة ومرحلة النضج حيث تشكل هذه الفترة وما يتبعها الموت بالنسبة له، وتعد قصيدته "الطفولة والموت" من ديوان شاعر في نيويورك خير مثال على ذلك حيث تمثل أبياتها مأساة الشاب الذي يأبى أن يصبح شابًا. وفي ديوان القصائد الأولى الذي كتبه وهو في العشرينيات من عمره نجده يتحدث عن الشباب والمراهقة ونجده يتصارع مع عالم أثقل كاهله بفكرٍ وجوديٍ لا محيص عنه. وعلى الرغم من بساطة بداياته الشعرية هذه مقارنةً بدواوينه اللاحقة، فإنها تكشف لنا عن تيمة الجسد والعشق التي تسيطر على عقله وتتحول إلى هواجس وأشباح كما تكشف أيضًا عن الحدود المأساوية للإنسان في العالم.

إنتاجه الأدبي الغزير يتألف من ثلاثة عشر ديوان شعر وإحدى عشرة مسرحية وعدة أحاديث ومقابلات ولقاءات صحفية وكثير من المراسلات مع أهم أدباء تلك الفترة. وتعتبر المرحلة الممتدة بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٧ هي من أخصب فترات حياته إنتاجًا حيث شهدت ظهور معظم إنتاجه الشعري. نشر لوركا باكورة دواوينه الشعرية وهو كتاب القصائد Libro de poemas عام ١٩٢١، وهو العمل الذي ظل يكتبه طوال

سنتين من ١٩١٨ إلى ١٩٢٠، ثم شرع فى كتابه الثانى "قصيدة الغناء العميق" Poema del Cante Jondo. فى عام ١٩٢٩ والذى لم ير النور إلا فى عام ١٩٣١. وفى نفس الفترة كان يكتب الأغنيات الأولى Primeras canciones (١٩٢٢) والذى نُشر لأول مرة عام ١٩٣٥ وكتابه الأغانى Canciones وكتابه الرومانثيرو خيتانو أو الديوان الغجرى El romancero gitano (١٩٢٣-١٩٢٧) الذى رأى النور فى ١٩٢٨. ويمكننا اعتبار هذه الدواوين الأشعار الأولية، ذلك لأن «شاعر فى نيويورك» Poeta en Nueva York (١٩٢٩-١٩٣٠) والذى نشر عام ١٩٤٠ وكان نتاج رحلة قام بها لمدة عام متجولاً فى أمريكا الشمالية وكوبا تمثل تجربة لا مثيل لها وحالة شعرية فريدة من نوعها تجعله يقترب من الأنماط السريالية ومن الشعر الطليعى ويمثل هذا العمل خطًا فاصلاً بين ما قبله وما بعده من إنتاج شعرى لتأتى بعد ذلك مرثية «مصارع الثيران» Llanto por Ignacio Sáncheq Mejías العمل الذى كُتب عام ١٩٣٤ ونُشر فى ١٩٣٦ وديوان «التماريت» Diváb del Tamarit الذى كُتب بين عامى ١٩٣٢-١٩٣٦ ونشر فى ١٩٤٠ ليكون قمة إنتاجه الشعرى الأكثر نضجًا وعمقًا وتركيبًا وتمازجًا بين أفضل عناصر شعره الأولى وشعره الطليعى السريالى.

ودون أى تحفظ يمكننا أن نصفه بالشمولية ذلك لتعدد أوجه إنتاجه وتباين نشاطاته. فمن شاعرٍ محترف إلى عازف جيتار وبيانو بارع ومسرحى محنك يهوى مسرح العرائس ويبرع فيه، ومن رسام يَخُط بالقلم الرصاص مشاعره إلى مخرج مسرحى تبدو لنا أوجه عدة لأديب لم يترك

نوعًا أدبيًا أو فنيًا لم يطرق بابه وأخضعت لموهبته جميع الأنواع الفنية والأدبية. ولقد رأينا أن نعرض فى هذا التقديم لأهم التيمات التى تبرز فى أعماله الشعرية وللخطوط العريضة التى يندرج تحتها أسلوب لوركا الشعرى مع التأكيد على أهم قصائده ودواوينه.

الأندلس: تيمة ورؤية

يجدر بنا أن نفرق بين أندلسيتين: الأولى هى التى يراها لوركا فى أعماله والتى يكتشفها ويستخدمها كعالم متعدد الأوجه ومختلف العناصر وتلك الأخرى ذات السمات الرومانسية الكاذبة والخاطئة، أى تلك الأندلس ذات الطابع الشعبى والفلكلورى، وربما تكمن المعضلة الحقيقية فى التأويل الصحيح لكلمة "شعبى" أو "فلكلورى" لما تتضمنه فى المتخيل الجمعى من عناصر لا تمت للواقع الأندلسى الحقيقى بصلات أصيلة، فعناصر مثل الدفوف والرقص والغناء أو ما يعرف بالثرثويلا ومصارعة الثيران هى عناصر جمة تركت بالغ الأثر داخل الأندلس. أما خارجها، فقد أعطت انطباعًا خاطئًا وتسببت فى قولبة الشخصية الأندلسية فى قالبٍ تعوزه الأصالة مما يجعله أبعد ما يكون عن الأندلسية الحقة.

كلتا الأندلسيتين هما وجهان لعملة واحدة لا انفصام لها. الأندلس التى تعود إلى ما قبل ميلاد المسيح حيث تلك الثقافة القروية الريفية التى

تأثرت بجميع ثقافات البحر المتوسط التى هاجمتها دون أن تُهزم قط بل كانت تنتصر سريعًا على جميع الغزاة، هى التى تمتلك ثقافة ذاتية بحتة بين جميع المقاطعات الإسبانية. وبناء عليه، فإن الأندلس التى يذيع صيتها فى العالم ما هى إلا ظاهرة اجتماعية وتاريخية مزعجة ليس لها أهمية.

يهتم لوركا فى أعماله بأن يكشف عن الوجه الآخر للأندلس، تلك التى يعتقد الفيلسوف الإسبانى أورتيجا إى جاسيت أنها تعود إلى ستة آلاف عام قبل المسيح. وقد أصبح لوركا بحق أفضل من حاولوا تأويل هذا الوجه الآخر وفهمه وتحليله وذلك فى مقال يُعد من أهم مقالاته وهو بعنوان "Teoría y Juego del duende" أى "نظرية الجن الشعرى وحيله". وكلمة duende المستخدمة هنا يمكن ترجمتها "جن" أو "عفريت" أو "شيطان" ولا تختلف عن العبقرية الكامنة فى (وادى عبقر) موطن الشياطين حيث لكل شاعر قرين من الجن يوحى للأدباء بشعرهم ويكون سببًا فى إلهامهم. ولا يجانبنا الصواب إذا ذكرنا الأصل العربى لهذا المفهوم الأندلسى الشائع فى الأندلس وخاصةً أن لوركا لم يذكر قط المقابل الكلاسيكى الغربى لهذه الفكرة، وأعنى ربات الفنون أو الملهمات أو "Las Musas" وهن بنات زيوس التسع واللاتى كن يهيمن على الفنون المختلفة من الشعر الملحمى والشعر الغنائى والتاريخ والموسيقى والرقص والفلك والتراجيديا والموسيقى الدينية والكوميديا ويقمن برعايتها.

هذه المحاضرة التى ألقاها لوركا فى مقر بيت الطلبة الجامعيين La residencia de estudiantes فى عام ١٩٣٠ تنظِّر أكثر من أى مقال آخر لأهمية الأندلس فى أعماله وتشكل صياغة كاملة لاستخداماتها الفنية. وعلى الرغم من أنه يبدأ الحديث عن إسبانيا، لكن الوقائع تأخذه إلى الحديث عن الأندلس وكأنها بمثابة الشيطان أو الجن أو العفريت الذى يشكل العبقرية الأدبية الإسبانية وتتحول الأندلس بالنسبة له لأصل، ليس فقط لإسبانيا وللهسبانية ولكن تصبح إسبانيا ما هى إلا فرع وامتداد للأندلس. فبالنسبة للوركا شأنه فى ذلك شأن كثير من الأندلسيين، تشكل الأندلس نواة الغرب لكونها كيانًا ضاربًا فى الزمن وبالتالى فإن نظرية شيطان الوحى هذه هى جزء من روح الأرض الأندلسية، الروح التى تنبع من الأرض نفسها، من الأم الكبرى المحملة بالأديان ذات الأصول الشرقية النابعة من الأرض المؤمنة بوحدة المذهب الكونى والمؤمنة بألوهية الكون.

إذن فالأندلس هى أصل ومنبع العمل الشعرى عند لوركا، وأن هذا الشيطان الملهم للوحى هو ملاك وعروس الشعر لجميع الأندلسيين، بل إن كبار فنانى الجنوب الإسبانى من غجر ومطربى فلامنكو وراقصين وعازفى الجيتار يعلمون تمام العلم بأن أى عاطفة دون مساعدة شياطين الوحى هى من ضروب الخيال ومن المستحيلات، فمن أهم أسباب نزول الوحى إذن عند الجنوبيين هو الشيطان أو الجن أو الـ Duende الذى هو الأصل الضارب فى القدم لأرض هسبانيا وعمق الحكمة والإلهام وروح

الفن الأندلسى. ما يقوم به لوركا بوعى تام فى أعماله هو استحضار هذه الروح الأندلسية الضاربة فى القدم لإعطاء مَثل لروح الأرض، بحيث تصبح الأندلس مركز الإحساس التاريخى للفن. عند إدراك ذلك ندرك عبقرية الشعب الأندلسى.

حاول بعض النقاد ربط فكرة شيطان الوحى بفكرة الدين عند لوركا لمعرفة مدى تدينه وخلصوا إلى أن ما يكمن فى أعماله لا يمت للدين بصلة وأن ما قد يراه لوركا من علاقة وثيقة بين بعض عناصر الفلامنكو ومصارعة الثيران وبعض الأديان والمعتقدات القديمة التى تؤمن بألوهية الكون إنما ترتبط أصلاً بالأديان والمعتقدات السائدة منذ اليونان الإغريقية. فقد درس لوركا جميع هذه العناصر ووجد فيها أصولاً لا يمكن إغفالها للمأساة والدراما والمسرح وبخاصة احتفالية مصارعة الثيران التى ترتبط بأصل التراجيديا دون انفصام، فمصارعة الثيران وغناء الفلامنكو أو ما يسميه بالـ El Cante Jondo أو الغناء العميق ما هى إلا فنون أولية بدائية وكلّ يعبر عن الفن الأندلسى دون منازع وبالتالى عن الفن الإسبانى والهسبانى. هذا العنصر الأندلسى هو المكون الذى يوحد كل أعمال لوركا، بل أن أصالة وعراقة أعمال لوركا تكمن فى أندلسيتها. ولذلك نجده يخصص ديوانًا بأكمله لهذا الغناء البدائى الأندلسى وهو قصيدة الغناء العميق وهو الغناء الذى يعتبره لوركا بمثابة "ثقافة الدم" لكونه، كما يعرفه لوركا، "الغناء الأكثر متعة والأكثر عمقًا والذى يعبر عن الروح الغامضة للإسبان، فهو صراخ أجيال

فنيت منذ زمن وبكائية قرون مضت وهو استحضار مؤثر للحب الذى صار تحت سماوات وأقمار أخرى، وهو أعمق من جميع الآبار والبحار التى تحيط العالم، وأعمق بكثير من القلب الذى يصدر ذلك الغناء ومن الصوت الذى يترجمه غناءً لأنه غناء أزلى يأتى من أعراق وأجناس بعيدة عبرت حدود الزمن وحدود مقابر الزمن، حيث الموضوع الأعم وهو الموت والحب معاً". جميع قصائد هذا الديوان تتحدث عن الرياح والأرض والبحر والقمر وعن أزهار النرجس وإكليل الجبل والطيور، أى عن الطبيعة التى هى لب الأندلس. ويحتوى الديوان على كثير من الأنواع الغنائية فمن الأغانى الشعبية التى تغنى فى عيد الميلاد "villancico" إلى السيجيرية "siguiriya" وهو لون من الغناء الغجرى المصطبغ بالمأساوية وفيه يعبر الغجرى عما يقاسيه من محن تصيب شخصه وعشيرته والصائتة "la saeta" والبيتينيرا "la petenera" والسوليار "Solear".

* * *

ظهر ديوان الرومانثيرو خيتانو أو الديوان الغجرى El romancero gitano فى يونيو من عام ١٩٢٨ وقد طبع سبع مرات خلال حياة لوركا وكانت قد ظهرت قصائده من قبل منشورة فى دوريات أدبية بين عامى ١٩٢٤ و١٩٢٧ قبل أن تظهر مجمعة فى هيئة كتاب نشر فى عام ١٩٢٨، مما قد يعطينا فكرة عن التعديلات التى أجراها الشاعر على الصورة الأولية للقصائد. كان عنوانه فى البداية الررومانثيرو خيتانو الأول، مما أعطى

انطباعًا بأن الكاتب سوف يتبعه بسلسلة أخرى من الكتب تحمل عنوان الرومانثيرو وتتطرف لنفس فكرة حياة الغجر. ولما كان ذلك لم يحدث، فإن الطبعات اللاحقة له شهدت حذف صفة "الأول" من العنوان فأصبح اسمه الرومانثيرو خيتانو فقط. ولأنه استنفد وقتًا كثيرًا في إعداده فقد تغيرت أسماء قصائده كثيرًا، فالاهتمام بالتحديد التوبوجرافي للقصائد الذى كان سمة المسودات الأولى ألغى بعد ذلك عند النشر، فمثلاً قصيدته "حكاية الشقاء الأسود" كانت تسمى "حكاية الشقاء الأسود فى جيان" وقصيدته "استشهاد القديسة أولاليا" كانت تسمى "استشهاد القديسة أولاليا فى مريدا" وهناك أسماء أخرى تم اختصارها "القصيدة الغجرية عند القمر، القمر الغجرى" أصبحت فيما بعد "حكاية القمر، قمر".

هناك من يقول بأن هناك شخصيتين للوركا، الأولى مبهمة وغامضة والأخرى مضيئة مثله فى ذلك مثل لويس دى جونجوا أحد الشعراء الإسبان المؤثرين بحق فى شعر لوركا، بل إن جيل ١٩٢٧، الذى ينتمى إليه لوركا سمى بذلك بعد الاحتفالية التى أقيمت بمرور ثلاثمائة عام على وفاة جونجورا (١٦٢٧-١٩٢٧). نلاحظ تكرار تيمات دائمة الوجود فى أشعار لوركا وتظهر بوضوح فى هذا الديوان مثل تيمة الحب المستحيل حيث تتعاظم مشاعر الحب الأيروسى وهى مشاعر متنازعة ومختلطة مع أخرى محتدمة فى خلجات نفس الشاعر، وجميعها تنم عن مواقف كانت صعوبة المنال فيها هى البطل الأوحد مثل قصائد "حكاية القمر، قمر" و"الراهبة الغجرية" و "الزوجة الخائنة" وقصيدة "حكاية السارية فى النوم"

الذى نعتقد أن ترجمته الصحيحة قد تكون (السائرون نيامًا) أو (رومانس السير نومًا). وتتكرر تيمة الموت والانتحار أيضًا في "حكاية السارية في النوم" وهو موت مزدوج لكونه موتًا ومرغوبًا يسعى إليه. هذه القصيدة شديدة الرومانسية تتحدث عن انتحار أوفيليا الغجرية المقهورة حبًا والعاشقة بيأس لرجل مشغول عنها بمغامراته وبالفروسية والمخاطر التى يلاقيها بحرًا وبرًا مما جعله لا يبادلها نفس الشعور مما يصيبها باليأس.

أما بالنسبة لبنية هذا الديوان فنلاحظ منذ اللحظة الأولى أن ترتيبه ليس عشوائيًا وإنما هو ترتيب مدروس بوعى تام وبتأن وتؤدة خصوصًا وأن لوركا ظل لسنوات طويلة ينقح فيه مما أوصله لمرحلة فريدة من النضج الفنى كما أنه كتب قصائده بصورة متفرقة حتى خرج للنور فى هيئة كتاب كامل عام ١٩٢٨. فنحن إذن أمام كتاب ينقسم فى نيته إلى جزأين أساسيين لكل منهما شخصيته المستقلة بذاتها ولكن داخل كل كامل متكامل ومتجانس. الكتلة الدلالية الأولى وهى الأساسية والأكثر امتدادًا تعبر عن رؤية لوركا الشخصية لعالم الغجر أو لنقل رؤيته المختلفة لهذا العالم ولكنها رؤية تتوافق وتتطابق مع الواقع فى بعض السمات وتنطلق من كون الغجر حقيقة اجتماعية وفلكلورية للشخصية الإسبانية لا جدال فى واقعيها ولكنها منقولة بشخصنة لوركاوية بحتة. يعبر هنا لوركا عن عالم مغلق مستقل بذاته غير قابل للمزج أو الخلط مع عوالم أخرى وغير متوافق أو متجانس مع أى حقيقة أخرى. هناك تباين واضح بين وصف هذا العالم فى بداية ونهاية الرومانثيرو،

فبينما يبدأ كعالم يتصف بكونه بدراً مكتمل الاستدارة وبورود متفتحة يانعة، عالم يشكل هارمونى متجانساً مع عوالم أخرى، ينتهى به الحال فى آخر الديوان محاقًا، عالمًا مغلقًا ومتألمًا تكسوه زهور الموت.

فى السبع قصائد الأولى نجد أن البطل الأوحد لهذه القصائد السبع هو بطل نسائى. فمن القمر، وهى كلمة مؤنثة بالإسبانية، فى "حكاية القمر، قمر" إلى برثيوسا أو الغالية فى "الغالية والريح"، ثم الغجرية التى تنتحر فى "حكاية السارية فى النوم"، ثم الراهبة الغجرية والزوجة الخائنة فى قصائد تحمل نفس الاسم، ثم سوليداد فى "حكاية الشقاء الأسود" وجميعهن تجسيد للألم الأسود وهى الصورة الدائمة للمرأة اللوركية المتشوقة الملهوفة والمحبطة.

وتقع فى منتصف الديوان ثلاث قصائد مخصصة للحديث عن ثلاث مدن أندلسية تحمل كل واحدة منهم اسم القديس الحامى لتلك المدينة فنجد القصيدة الثامنة (سان ميجيل) المعنية بالحديث عن مدينة غرناطة و (وسان رفائيل) المخصصة لمدينة قرطبة وهى المدينة التى تجمع صفات رومانية وعربية ولذلك فهى تعتبر بالنسبة للوركا المدينة الأندلسية المعبرة عن القيم الأندلسية الحقيقية والعميقة ثم (سان جابريئل) التى تتحدث عن أشبيلية. ففى منتصف الديوان إذن يضع لوركا خلاصة الأصول الأندلسية الثلاثة. وفى هذه الثلاثية المعبرة عن المدن الأندلسية الثلاث يمزج الكاتب بين المؤنث والمذكر حيث المدن الثلاث المؤنثة بقديسيها من الذكور.

أما الجزء الثانى فهو قصير ومكون من ثلاث قصائد تاريخية وهى القصيدة السادسة عشرة (استشهاد القديسة أولاليا) والسابعة عشرة (دون بدرو على فرسه) والثامنة عشرة (ثمارا وأمنون) وجميعها تعبر عن رؤية الشاعر المتضاربة لبعض الصور التاريخية الأسطورية إما من وحى أدبى أو من وحى دينى. ومن الملاحظ فى هذه الترجمة أنها القصيدة السابعة عشرة غير الموجودة فى النص العربى مما يؤكد على تعدد الطبعات التى نشر فيها الكتاب وتباينها.

وتعتبر الواقعية من أهم العناصر الشكلية فى الرومانثيرو وخيتانو وهى واقعية مطلقة تسيطر على جميع قصائد الديوان كما أنها الصفة التى تميز جميع أعمال لوركا. وأقصد بالواقعية التناغم الكامل الموجود فى الكتاب بين التخيل الحر الجرئ فى استخدام الصور البلاغية من استعارة وكناية وغيرها من التعبيرات التى تُحدث أثر المفاجآت فى القارئ وبين الأساس المتين للواقعية. وفى هذا الصدد يجدر بنا أن نرفض جملة وتفصيلاً ما يقال أحياناً من أن لوركا ما هو إلا شاعر يحلق فى سموات من التخيلات الشعرية التى لا تمت بصلة للعالم الواقعى. فما يعرضه لوركا ما هو إلا أحداث شديدة الواقعية يحولها المؤلف إلى عالم شديد الخصوصية مصطبغ بصبغة أسطورية فمثلاً فى "حكاية القمر ، قمر" نجد طفلاً يموت وحيداً بجانب القمر فى ظل غياب والديه. فيقدم لنا لوركا هذا الحدث شديد الواقعية ببعض التحولات التى تطرأ فى بعض مستويات القصيدة مما يحول القمر إلى مُنفذ لأحكام الموت،

ويحول الطفل بعد مماته وبعد أن أصبح سحابة فى السماء، إلى ضحية النجم الليلى. وفى "الغالية والريح" نجد أن الفتاة الغجرية التى تحكى عنها القصيدة وبينما هى تسير فى الليل تهاجم بعاصفة مفاجئة مصاحبة برياح شديدة مما يدفعها إلى الهرب واللجوء إلى مكان مظلم. هذه الحقيقة الواقعة التى يمكن أن تحدث تتحول فى القصيدة إلى هجوم ومحاولة اغتصاب للفتاة من قبل الرياح العاصفة التى تحمل فى طياتها كل صفات الذكورة. وهكذا دواليك ففى هذا الديوان نجد أن وراء كل قيمة شعرية بل ووراء كل استعارة تقبع هناك حقيقة واضحة جلية وأن تحويلها بمهارة إلى نتاج أدبى يمكن أن يعطى انطباعاً خاطئاً بأن هناك عالماً يبعد كل البعد عن الواقعية. ونتساءل نحن بدورنا فى هذا الصدد، ألا تكمن فى هذه القصائد بعض سمات ما يعرف الآن بالواقعية السحرية؟

ومن وجهة نظر أخرى فإن من أهم سمات شعر لوركا أنسنة الحيوان وإحياء الجماد وحيونة الأشياء والظواهر الجوية، أى قدرته الدائمة على إطفاء حياة على ما هو ساكن وبالتالى تغير ماهية المواقف الدرامية. ففى عالم الرومانثيرو، وفى تناغم مع الحالة المزاجية للشخوص، نجد أن أعمدة الإنارة فى الشوارع ترتجف فى رد فعلى إنسانى من أثر الرياح "فى حكاية السارية فى النوم".

وترتجف فوق السطوح

فوانيس صغيرة من الصفيح

وأن غرفة النوم تعاني من نظرات رغبة أمنون في قصيدة "ثمارا وأمنون":

وكان المضجع يتعذب
بعيون مليئة الأجنحة .

وفى "الغالية والريح" تتحرش الرياح جنسياً بإحدى الغجريات:

وأخذت تجرى دون توقف .
والريح الذكر كان يلاحقها
بسيف لاهب . . .
اهربى يا غالية ، يا غالية
وإلا أخذتك الريح الداعرة

وتنتهى القصيدة بغضب إنسانى للريح بعد فشلها فى النيل من الغجرية:

وفوق القرميد
كانت الريح العنيفة
تعض وتنهش.

وفى كثير من المواقع ينسب لوركا لبعض العناصر غير الآدمية ردود فعل إنسية من تعاطف وشفقة نحو ما يواجه شخوص القصائد من تحولات وتقلبات فى مغامراتهم. وفى أحيانًا أخرى نجد أن نفس هذه العناصر تنصب العداء لشخوص القصائد، ومثالاً نجد فى "حكاية الحرس المدنى الإسبانى" أن العناصر الكونية تتحد مع الحرس المدنى ضد السكان:

الجو تتفجر فيه
ورود من البارود الأسود.
وحين صارت الأسقف
أخاديد فى الأرض
هدهد الفجر كتفيه.

وفى "حكاية السارية فى النوم" الجبل يتحول إلى قط ينهش بمخالبه من يتعرض له:

والجبل، قط سارق
يرفع نبات صباره المرير

كل هذه الأساليب ما هى إلا ترجمة مزاجية وانطباعية للشاعر نجد أساسها فى كلمات لوركا عندما يقول بأنه فى طفولته وعندما كان يعيش فى أحضان الطبيعة كان ينسب لكل شىء شجرة كان أو حجراً

أو قطعة أثاث شخصية معينة وكان يحادثها ويحبها ويكرهها حسب حالته المزاجية.

أما بالنسبة لدور الغجر فهناك سؤال يطرح نفسه بإلحاح عندما تشرع في قراءة الرومانثيرو خيتانو عن ماهية نوع القراءة التى يجب اتباعها عند قراءتنا لهذا النص دون الوقوع فى أى خيانة لحقيقة الكتاب وواقعه ودون الوقوع فى تأويلات تضر بالكاتب نفسه وما هى القراءة الصحيحة لهذا الكتاب الذى يحمل عنوانه تصنيفًا محدداً وغير ملتبس. يجب أن نتذكر أيضًا فى سؤالنا هذا ما خلفته قصيدة "حكاية الحرس المدنى الإسبانى" من أثر سيئ وما سببته من مشكلات مع العدالة فى إسبانيا كما يجب أن تذكر أيضًا أن بعضًا من قصائد هذا الديوان كانت سببًا من الأسباب التى أدت بلوركا إلى التصفية الجسدية والإعدام، ويجب أيضًا أن نذكر أن لوركا نفسه حاول مراراً وتكراراً التأكيد على أن تناوله للغجر فى الرومانثيرو لا يتعدى كونه قيمة أدبية نافيًا بذلك أى توحد بينه وبين الغجر. يجب أن نفهم أن الرومانثيرو ليس بكتاب يحوى قصصًا وحكايات واقعية تهدف لإعطائنا شهادة اجتماعية وتوثيقية مصورة للجنس الغجرى ولكنه كتاب تستخدم فيه عناصر الحكايات والعناصر الواقعية للمجتمع الغجرى وذلك لخدمة غرض ما فى نفس الكاتب يتعدى الهدف التوثيقى البحت.

إن الرومانثيرو ما هو إلا روح لوركا ومشكلاته وهواجسه ومطامعه الشعرية وردود أفعاله أمام الاصطدام المستمر مع الحقائق المألوفة والمتعارف عليها. ويعبر فى الرومانثيرو عن عالمه الروحانى مستخدمًا

بعض القوالب الخارجية المستقاة من عالم الغجر وفى مرات أخرى يقولب روحه الشعرية فى قالب درامى أو شعرى ذى فحوى مختلفة. ولكنه فى أى من محاولاته الشعرية الأخرى مثل شاعر فى نيويورك أو فى محاولاته المسرحية فى بيت برناردا ألبا أو أعراس الدم استطاع أن يقص بحرفنة الفلكلور فى طقوس الأعراس الجنوبية أو أن يصور المغالاة فى الحداد والارتشاح بالسواد مثلما صورها فى الديوان الغجرى.

فمن المهم أن نعلم أن الموضوع الأهم فى الرومانثيرو ليس هو العنصر الغجرى المكون للقصص والحكايات التى تسرد والتى تستخدم أيقوناته وأجواءه وموضوعاته بإغداق لتكوين بنية القصائد، ولكن الأهم هو لوركا نفسه والإسقاطات الذاتية والعرض الذاتى لصور تعبر عن شخصيته المركبة. العنصر الغجرى هو الصفة والأداة والمادة التى من خلالها يقدم مثالاً لحقيقة روحه كأديب وهو أيضًا إطار شكلى تكميلى لسيرة حياة أكثر عمقًا. هذا هو ما قد وصل إليه كثير من النقاد الدارسين لمجمل أعمال لوركا.

شخصية الغجرى تعنى بالنسبة للوركا المثال الأوضح على التهميش المجتمعي ولقد عبر فى أكثر من مناسبة عن أنه فى حقيقة الأمر لا يعير الغجر اهتمامًا كبيرًا ولا يعول عليهم كثيرًا وبأن أهم ما يشغله هو فقط العائلات الكبيرة منهم المشهورة والأرستقراطية والمثقفة، بينما لا يمثل له غجر العشوائيات وأبطال السرقة والعوز والفقر البعيدون عن القانون والمبعدون عن المجتمع أى شىء. وعلى الرغم من ذلك فإن الرومانثيرو يعج بهذه الأنماط المهمشة دون ذكر لأولائك الآخرين. إن الغجر عند

لوركا ما هم إلا أداة يستخدمها لتحقيق ما تصبو إليه نفسه وما يتطلع إليه في أحلامه والرغبات الكامنة عند من يعيشون حياة مهمشة وحرة وتطلعاته للحصول على نظام حياة قائم على الحرية. فالغجر يجسدون حالة شعرية تلقائية غير عقلانية ولا معقولة لأنماط حياتية متخيلة خارج حدود المألوف أو المتعارف عليه. فحول شخصية الغجرى المهمش والمتقوقع المنغلق على نفسه رغماً عنه يتمحور حلم لوركا فى حياة المثليين المهمشة الذى كان هو منهم، والتى اختارها بإرادته الحرة. حاول أن يجسد المشكلات الاجتماعية والنفسية للشواذ بأن يعرض لعرق لا يقل تهميشاً عن المثليين جنسياً.

الغجرى هو الفرد الذى يعيش خارج المجتمع وهو الإنسان البدائى والقوة الأولية للطبيعة الموجود على هامش القوانين والأعراف الاجتماعية. ولهذا فلا يجب أن نبحث فى الرومانثيرو خيتانو على الغجرى من دم ولحم، لأننا سنجد فقط روح لوركا الجريحة وجسده المختنق. هو نفسه أعطانا الوسيلة التى يمكننا من خلالها فك شفرة هذا الديوان فقد اختار لوركا نوعاً من الصراع - صراع الغجرى مع مجتمعه - كى يعبر عن صراعات ذاتية، وبالتالى صراعات عالمية بين التمسك بالتقاليد والأعراف والرغبة فى الحرية، بين العقلانية والتلقائية، وبين القاعدة والخروج عنها. ولذلك فليس من العدل أن نشطح فى قراءتنا لهذا الديوان ونتحدث عن لوركا المدافع عن حقوق الغجر، فهذا أبعد ما يكون إلى الحقيقة.

* * *

أما مرثية مصارع الثيران Llanto por Ignacio Sánchez Mejías فإنها تتحدث عن وفاة مصارع الثيران إجناثيو سانشيس ميخياس، والذى وافته المنية فى مدريد فى الثالث عشر من أغسطس عام ١٩٣٤ بعد صراع من أجل البقاء على أثر جروح غائرة تعرض لها فى إحدى حلبات المصارعة فى مدينة ثيوداد ريال قبل ذلك التاريخ بيومين. عاش لوركا عن كثب هذا الاحتضار الطويل لصديقه المصارع وكتب قصائد هذا الديوان التى لا تتعدى الأربع قصائد هى "النطحة والموت" و "الدم المسفوح" و "جسد حاضر" و "روح غائبة" فى سبتمبر من نفس العام. وقد خضعت قصائد ذلك الديوان الصغير إلى كثير من التنقيح والتعديل.

لم يكن إجناثيو سانشيث ميخياس مصارعا عاديا، ولكنه كان نجماً فى سماء هذا الفن فى عصره الذهبى وكان اعتزاله المصارعة فى عام ١٩٢٧ حدثًا فنيًا فريدًا، إذ أنه كان صديقًا لكثير من الشعراء والفنانين أمثال رافائيل ألبيرتى وخوسيه برجامين ممن يهتمون بهذا الفن كما كان ميخياس شديد الإعجاب بالشاعر لويس دى جونجورا "وبالشعر الجديد" الذى بدأ عام ١٩٢٧ تزامناً مع الاحتفال بمرور ثلاثمائة عام على وفاة جونجورا (١٦٢٧-١٩٢٧)، وهى الفلسفة الجديدة فى نظم الشعر التى ظهرت فى إسبانيا والتف حولها كثير من الشعراء ممن كونوا بعد ذلك ما يتعارف عليه بجيل ١٩٢٧ ومنهم لوركا. وكان ميخياس ينظم الشعر وظل منذ اعتزاله عام ١٩٢٧ حتى عودته إلى حلبة المصارعة عام ١٩٣٤، وهى العودة التى شهدت وفاته، يهتم بكتابة الشعر والمسرح ولهذا كان

من الشخصيات الأدبية والفكرية المهمة حينئذ، وقد حاول جميع أصدقائه إثناءه عن رأيه بالعودة، ولكنه كما قال عنه لوركا كان على موعد مع الموت.

فى القصائد الأربع التى يتألف منها الديوان نجد أن حقيقة المصارعة تتمثل منذ البداية فى نظرة أسطورية وشعائرية تتمازج مع المرثية والجو الاحتفالى الذى يحيط بالبطل ويظهر الموت بصفاته المجردة والمادية فى آن واحد دون أن يمثل ذلك أدنى تناقض. الصفات المجردة المعنوية يكتسبها من عالميته، والمادية تظهر لتجسيد الثور فيها دور أداة القتل. أما حلبة المصارعة، فهو العالم برحابته واتساعه حيث تتوقف جميع الساعات عن السريان ويتوقف الزمن عند لحظة الموت ويتمثل الموت كنهاية حتمية للزمن. الموت هو العدم وبسببه يتحطم الوجود الإنسانى الذى يظهر فى أروع صوره متمثلاً فى صورة البطل المصارع الذى يحطمه الموت تمامًا من خلال تحطيمه لجسده وذكراه أيضًا التى ستذهب، يومًا ما، طى النسيان فتصير القصيدة بذلك مسرحًا للصراع بين الإنسان والعدم.

وعلى الرغم من أن القصائد الأربعة تبكى موت البطل، فإنها تحتفى به مستخدمة مفردات الملحمة مما يعطى أبعادًا غنية لهذه القصائد ويحولها لمرثية جنائزية. وتظهر العناصر الملحمية فى كثير من الاستخدامات الروائية التى تعج بها القصائد بدء من انتشار الخبر ومرورًا بصراع البطل مع الموت وهو ما زال حيًا ثم مدحه والثناء عليه،

وفوق ذلك كله بسبب العناصر الأسطورية التى تتصل بالبطل. كما تظهر هذه الدلالات القصصية فى الجو العام الذى يحيط بحدث الموت كمشهد الجماهير الحاضرة، والتى تحيط بالبطل وتشاركه هذه اللحظات الفاصلة أو وصفه كأمير ينتمى لإحدى الأعراق القديمة، أو مقارنته بالمسيح المسجى فى احتفالات الأسبوع المقدس فى إشبيلية. انتهاء بتمثله النهائى "كأندلسى فى مثل صفائك وفى مثل غناك بالمغامرة".

نجد أن القصائد الأربع، التى هى فى واقع الأمر يمكن أن تقرأ كوحدة واحدة، مقسمة إلى أربعة أجزاء مرتبة ومنظمة حسب قواعد موسيقية صارمة. فى القصيدة الأولى "النطحة والموت" يستخدم السوناتا، حيث نجد جملة "فى الخامسة عند المساء" تتكرر خمساً وعشرين مرة على مدار القصيدة الأولى مما يحول دون بساطتها ويحولها لنغمة رتيبة متكررة. أما فى "الدم المسفوح" فإننا نجد بنية أكثر تعقيداً حيث كثيراً من الفراغات البيضاء المتروكة بين الأبيات، مما يجعلها تحل محل السكون وهو السكون الذى يحمل فى طياته معانى الموت. وفى داخل هذه الفراغات البيضاء تظهر جملة "لا أريد أن أراه" التى تعود على الموت. وفى منتصف القصيدة يحدث تمازج بين أبيات ذوات أحد عشر مقطعاً وآخر ذوات ثمانية مقاطع أحياناً أو عشر أحياناً أخرى مما يعيدنا لأجواء الرومانثيرو، وهو ما يلزم لإضفاء طابع أندلسى على المنظر المحمل بعناصر إسبانية صميمة.

أما فى الجزأين الثالث والرابع "جسد حاضر" و "روح غائبة" فيستخدم الشاعر منذ البداية العروض المتكلفة الخاصة بالأنواع الأدبية الأكثر تعقيداً فنجده يبتعد كل البعد عن العروض المستخدم فى الجزأين السابقين والخاص بالأنواع الشعرية الفلكلورية الشعبية. فنجده يستخدم هنا الأبيات ذوات الأربعة عشر مقطعًا والأحد عشر مقطعًا فى قصائد تتسم بأبيات مجمعة فى مجموعات تتكون كل مجموعة من أربع أبيات (كوارتيتو) ومن جو الأندلس يتحول رأسًا إلى أجواء الموت. "جسد حاضر" يتكون من ستة مقاطع شعرية من أربع أبيات (كواريتو) متبوعة بمقطع ذى خمس أبيات (كينتيو) ملحقة بخمسة مقاطع كوارتيتو. أول أبيات الكينتيتو "من الذى يجعد الكفن ليس صحيحًا ما يقال" يفصل بين جزأين، الأول يتحدث عن الحجر والثانى يتحدث عن الجسد المتحجر للمصارع إجناثيو ثم ينتقل للحديث عن بعض الحاضرين الذين يشاهدون الجسد المسجى للمصارع ومن حوله الشموع المضيئة وهم شهداء على هذا التعايش السلمى مع الموت، وفى النهاية يشهدون انتصار الحجر، بعيداً عن أى بعث. أما "روح غائبة" فتتكون من ستة مقاطع شعرية جميعها مكونة من أربعة أبيات ما عدا الخاتمة التى تتكون من خمسة أبيات.

تتشابه مرثية لوركا بالمرثية الأشهر فى الأدب الإسبانى، وهى التى نظمها الشاعر خورخى مانريكى لرثاء والده، كما تعتبر المرثية من أكمل أعمال لوركا، حيث تتضافر فيها جميع العناصر الكونية وتتركز بها

جميع المعطيات الأسلوبية. فمن البيئة الأندلسية بأشكالها وألوانها الفنية إلى البيئة النيويوركية بجميع معطياتها الأسلوبية نجد لكل ذلك صدى فى الديوان، ومن هنا اكتسب صفة الكونية والطابع الشمولى الذى يميزه.

* * *

عندما نشرع في الحديث عن أحد الأعمال الأدبية التى تعبر عن تجربة حياتية بعينها لكتاب ما، فإنه يجب أن نقرأ هذا العمل ونؤوله كنتاج مباشر لموقف بيوجرافى وليس كعمل أدبى منفرد بذاته. وهذا هو ما يحدث فى ديوان شاعر فى نيويورك Poeta en Nueva York، إذ أننا إذا قمنا بتحليل لعناوين الأقسام العشرة التى يحويها الديوان لوجدنا تقديما للحظات مصيرية فى سيرته الذاتية ولحظات أخرى ذات طابع مجرد من أى علاقة بالواقع الحياتى. وبالفعل فإن كلا النوعين يعبران عن حقيقة ذاتية وموضوعية محددة، كما يعبران عن بعض العناصر التى تتخطى الواقع نفسه وتتدرج فى رؤية شعرية ذات طابع كونى.

ولهذا فإن أهم وأول خصائص هذا الديوان تتركز حول ثنائية المستوى الدلالى (الواقع ومحاولة تخطى هذا الواقع) الذى يحاول الشاعر بناءه. هذه الثنائية لا تظهر فقط فى الترتيب العام للقصائد داخل الديوان، ولكننا نجدها فى كل قسم من الأقسام العشرة كما نجدها أيضًا داخل كل قصيدة على حدة. فالأنا فى أول القصيدة تتحول إلى

نحن فى آخرها كما يتحول ضمير المخاطب المفرد "أنت" فى أولها إلى الضمير المخاطب الجمع "أنتم" فى آخرها. أى أن الكتاب فى مجمله عبارة عن تحول دائم وتحور مستمر من التجربة الذاتية اليومية – وهو الدافع الذى تتكون بسببه القصيدة – من أجل الوصول إلى التجربة العامة، والمستوى الذاتى يتراجع لإفساح الطريق للشمولية والعمومية.

ويمكننا أن نتحدث عن سبب رئيسى وراء بحث لوركا عن هذه التجربة الحياتية فى بلاد بعيدة كل البعد عن بيئته الأندلسية، فقد بحث لوركا عن التجربة الأمريكية بطريقة مرضية بحثًا دءوبًا ليقطع كل صلاته بفترة عاش فيها أزمة كبيرة سببها ديوانه السابق الرومانثيرو خيتانو لما خلفه من صورة للوركا كانت تشبهه بالشاعر الغجرى المدافع عن حقوق الغجر. فقد حاول شاعر فى نيويورك أن يبتعد جملة وتفصيلاً عما سبق، لكن ذلك لا ينفى كون شاعر فى نيويورك امتدادًا لقصائد الديوان الغجرى، إذا أن كليهما يعبران عن التجربة الحياتية وكلاهما لا يتوقفان عند حدود الأشياء أو معانيها الأولية فحسب، ولكن يحاولان التغلغل إلى الأسباب العميقة وراء حدوث هذه الأشياء. فكلاهما عبارة عن حدث شعرى ونظرة مجردة ولهذا فإن لوركا لا يعتبرهما ديوانا، ولكنهما قصيدتان. كما أن كليهما يعبران عن أسطورة أصل الإنسان، فالأول يتحدث عن الجنس الغجرى والثانى عن الجنس الأسود، حيث إن نصف قصائد هذا الديوان تهتم بالحديث عن ذوى البشرة السوداء الذين يمثلون بالنسبة للشاعر المنزلة الأعلى والتجربة الأعمق الأكثر تعبيراً عن الحقيقة العالمية.

وبذلك فإن فى كلا العملين ينتقل لوركا من الحديث عن الخاص، والحاضر الزمنى (الغجر والزنوج) إلى الحديث عن العام اللازمنى (أسطورة الخلق والأصول) وحول هذه الاستعارة عن الإنسان وعن الحياة تتمحور وتتركز مئات من الصور البلاغية فى الكتابين كما أن مقدرة الشاعر على تشكيل وخلق تداعيات لغوية مستحيلة الإدراك بالنسبة للمنطق اللغوى العقلانى تعطى المجال للقصائد بأن تعبُر الحاجز الذى يجعل منها تجارب حسية حياتية وتجعلها تكشف الحقائق الخفيفة المستترة وراء خلق هذه القصائد. بمعنى أن تصبح اللغة الشعبية ليس أداة تعبير، ولكن قبل أى شىء أداة بحث وتنقيب عما يكمن خلف الواجهة الأولية للأشياء والأحداث، وبالتالى الأشعار.

يتعاطف لوركا مع الزنوج واليهود والغجر والفقراء والعرب وجميع الأجناس العريقة عراقة الأرض نفسها. فى قصيدة "رقصة الموت" يحمل الموت قناعًا وخلف هذا القناع نجد وجهًا زنجيًا ينطوى بالنسبة للوركا على معنى خاص بأمريكا التى تحتوى على جنس معزول ومهمش يتعرض للاستشهاد بسبب نقائه وصفائه وبراءته البدائية، ويرجع السبب فى ذلك إلى قلب غريب للأوضاع يصبح فيه التجسيد الأقوى للحياة مختفيًا وراء قناع الموت تحقيقًا لتحرير الإنسان وحريته. إن ما يتحرك على الأرض ويحيا فوقها، بل وهو سبب حياة الأرض أيضًا هو دم الإنسان الزنجى وهو الوحيد الذى لا يحتاج لتعلم سر تدفق الطبيعة.

من أكثر المظاهر وضوحًا فى هذا الديوان هى صور الانهيار والعقم والشذوذ، مما يوضح تغلغل الشاعر فى البواطن النفسية. تنقسم صور الخراب فى الديوان إلى مجموعتين تظهران بجلاء فى قصيدتي: "مشهد الحشد الذى يتقيأ" و "مشهد الحشد الذى يبول" حيث الجماهير المتقيئة والبوالة تشغلان حيزًا كبيرًا من القصيدتين. فنحن نجد فى القصيدة الأولى السيدة البدينة تنشر الخراب فى المدينة: تترك جماجم الحمام منثورة فى الأجواء، تقتلع الجذور وتنشر الخراب فى الأجواء. جميع أشعار هذا الديوان تؤكد على بحث لوركا عن المعنى والهوية. قصيدة "ملك هارلم" ترمز إلى هزيمة الشاعر باطنيًا بعجزه الذاتي وظاهريًا بفساد المدينة كما تتضمن نبوءة بعصر جديد.

الديوان فى جملته يعبر عن رؤية خالصة للشاعر وعرض لحالته النفسية الخاص دون أن يكون لذلك أى ارتباط بالمدينة الواقعية. شاعر فى نيويورك هو عمل ينطوى على تبصر روحى جديد ورؤية تنبؤية وقصائد هذا الديوان على الرغم مما يبدو بها من مشاعر العذاب والتشويه والبتر، فإنها لا تزال تتميز بواقعية محسوسة وتحمل رسالة هامة إلى العصر الحاضر. إنها نتاج عقل فقد توازنه وهى فيض خيال سريالى يقوم بتشييد كابوس لا إنساني. تعتبر من أصعب قصائد لوركا لأن بنية القصائد غير متوافقة ولا منسجمة فى موسيقاها، كما أن أوزانها الشعرية مفككة، مسكوبة فى صيغ تعسفية مليئة بشلالات من الاستعارات المتفجرة، مما يجعل هذا الديوان متناقضًا مع أعماله الشعرية السابقة

ولكن تأتى المنزلة الفريدة لهذا الديوان من أنه يمثل عالمًا جديداً من الصور قد خلق للتجسيد الروحى المتوهج الذى يصوغها. نيويورك فى رأى لوركا هى رمز لقصر نظر روحى، حيث الإنسان عاجز عن مكافحة مرض الجسد والروح لكونه غير قادر على أن يرى طبيعة غربته بسبب فقدانه ملكة أن يرى عناصر القوى الطبيعية الأساسية التى يفهمها الناس ممن يعيشون ملتصقين بالأرض غريزيًا. الحياة فى نيويورك المحملة بصخب وزخم وإهدار للطاقات والسباق المحموم نحو المدينة هو العذاب نفسه وهو السرطان يسرى فى الجسم نافذاً إلى العظم لا خلاص ولا منقذ من ذلك. ولذلك فإن فكرة الموت هنا هى قوة متناغمة تنتصر على الحياة انتصاراً كاسحاً، وكل ما هو زيف هو موت.

ومن ثم، وبعد هذا العرض الموجز لأهم التيمات التى يزخر بها شعر لوركا نجد أن أندلسيته الشديدة تطغى على جميع العناصر الأخرى فى شخصيته وأن القارئ الفطن لدواوينه يستطيع أن يجد جغرافية الأندلس حاضرة وتاريخها شاهداً على أمجاد أمة مضت منذ عهد ليس ببعيد.

د. رشا أحمد إسماعيل

لوركا

الدّيوان الكامل

★

ترجمة

خليفة محمّد التلّيسي

هذا هو الاهداء

إلى

غادة السّمان

كاتبة عظيمة وصديقة رائعة
وانسانة نبيلة تزيد بحضورها
وابداعها في ثروة الحياة...

هذا هو التقديم

حين كان الآخرون يترجمون وينشرون
كنت أترجم وأطوي.
وحين قرأت ما ترجموا رأيت
أن أنشر ما طويت.

خليفة محمد التليسي

هذا هو تقديم الشاعر

قدم الشاعر بهذه القصيدة لديوانه (قصائد متفرقة)

أريد أن أترك في هذا الكتاب
قلبـي كلّـه.
هذا الكتاب الذي شهد معي المشاهد الرائعة
وعاش معي ساعات قدسية.

يحزن أمر هذه الكتب
التي تملأ الأكف
بالـورود والنجـوم
ثم تمضي في هـدوء!

باله من حزن عميق
أن نرى ثنايـا
الآلام والأحـزان

التي ينوء بها القلب!

أن نرى عبور أشباح الحياة
التي تمحى.
ونرى الإنسان عاريا
مجسداً في الفرس المجنح
المبتور الأجنحة.

أن نرى الحياة والموت
تركيبة الكون
في الفضاء العميق
يتبادلان النظرات
ويتعانقان.

ديوان الشعر
هو خريف ميت.
وأبياته هي الأوراق السوداء
المتساقطة فوق الأرض البيضاء.

وصـــوت قارئـــه
هو هبوب الريـح
التي تعمقها في القلوب
ـ مسافـات حميمـة ـ

الشاعــر شجــرة
ثمـارها الحــزن
وأوراقهــا جافـة.
لكي يبكي الأشياء الحبيبة إلى نفسه.

الشــاعــر
هـو وسيـط الطبيعة
الـذي يظهـر عظمتّها
بالكلمــــات.

الشاعــر يفهـــم
كـل مـا لا يفهـــم.
ويسمي الأشياء البغيضة

بأسماء صديقة حبيبة.

إنه يعلم أن الدروب كلها
مستحيلة.
ولهذا يمضي الليل
في هدوء.

في دواوين الشعر
وبين الورود الدموية
تعبر القوافل
الحزينة الخالدة
التي تدع الشاعر
محاطاً بأشباحه.
حين يبكي المساء

الشعر مرارة
عسل سماوي
يتدفق من وعاء غير منظور

تصنعـــه القلـــوب.

الشعر هو تحويل المستحيل
إلى ممكـــن
والقيثـــار
إلى قلـوب ونـيران
بـدلا من الأوتـار.

الشعر هو الحيــاة
التي نعبرها في قلق
منتظـريــن
ذلك الذي يسوق إلينا زورقنا
المبحر دون وجهـة.

ودواوين الشعر الحلوة
هي الكواكب التي تعبر
السكـون الصــامت
نحو مملكـة العـدم.

وهي تكتب على صفحة السماء
قوافي من فضـة.

آه، يا لها من أحزان عميقة
لا يمكـن تجنبهـا
تلك الأصوات المتوجعة
التي يغنيها الشعراء.

أريد أن أترك في هذا الكتاب
قلبـي كلّــهُ.

قصائد أُولى

راية الرياح

يا ريح الجنوب
أيتها الريح المتوقدة السمراء
لتنزلي فوق جسدي
ولتحملي بذور النظرات المتألقة المعطرة بأريج البرتقال

لتضرجي خدود القمر
ولتثيري لوعة أشجار الحور الحبيسة
ولكن تعالي
إن الوقت لمتأخر
ولقد أودعت ليلة قصتي
فوق الرف

بلا ريح
صدقيني
يدور ، قلب
يدور ، قلب

يا ريح الشمال
يادب الرياح الأبيض
لتنزلي فوق جسدي
مرتجفة بإصباحات الشمال
بعباءة أشباحك الكبار
ضاحكة ساخرة من ذاتي
ياغاسلة النجوم
ولكن ، تعالي
إن الوقت لمتأخر
وصندوق الروح مغطى بالطحلب
وقد أضعت مفتاحه

بلا ريح
صدقيني
يدور ، قلب
يدور ، قلب

أيتها النسائم والعفاريت والرياح
التي لا تنتمي لأي مكان
يا بعوض الوردة ذات الأفواف الأهرامية
ياشجرة الألنوس المفطومة بين الأشجار الخشنة
أيتها النايات العازفة في العاصفة

أتركيني
إن ذكرياتي
تجر قيودا ثقيلة
والكابوس سجين
حين يزين المساء
بالأهازيج والترانيم .
إن الأشياء التي ترحل لن تعود .

هذا ما يعرفه الجميع . وبين حشود الرياح اللامعة
تبدو الشكوى عبثا ،أليس كذلك يا شجر الحور
يا معلم النسيم ؟

ومن العبث أن نشكو
صدقيني
يدور، قلب ، يدور ، قلب

غرناطة، لوليسو 1920

لقاءات الحلزونة المغامرة

يا لها من عذوبة طفولية
في ذلك الصباح الهادىء الوادع ،
الأشجار تمد أذرعها
إلى الأرض .
وبخار مرتجف
يغطي المزروعات . والعناكب تنسج
طرقها الحريرية
تجعيدات
فوق بلور الريح الصافي .

وعلى الطريق
نبع يتلو نشيده بين الأعشاب .
والحلزونة المسالمة

برجوازية الدرب ، مجهولة ومتواضعة
تتأمل المشهد .
سلام الطبيعة المقدّس
جدد من عزمها .
وفي تناسيها لمشقات البيت
تطلعت إلى رؤية
نهاية الطريق .
وفي سيرها وجدت نفسها
تتوغل في غابة من نبات العليق.
وفي وسط الغابة
كانت هناك ضفدعتان عجوزتان
تتشمسان
وهما حزينتان مريضتان .
همست واحدة منهما :
هذه الأغاني الحديثة
كلّها عبث في عبث .
فأجابتها رفيقتها وهي جريحة
وتكاد تكون عمياء.

حين كنت شابة كنت
أعتقد أن الله لو سمع غناءنا
لأخذته الرحمة بنا. ولكن
علمي، وقد عشت طويلا
يمنعني اليوم من هذا الاعتقاد.
ولهذا توقفت عن الغناء.
واستمرت الضفدعتان
في تبادل الشكوى
وطلب الإحسان من ضفدعة صغيرة
كانت تعبر الطريق
مستخفّة بما حولها
وأمام الغاب الكثيف المظلم
شعرت الحلزونة بالخوف
وأرادت أن تصرخ. ولكنها
لم تستطع أن تفعل
فاقتربت منها الضفدعتان
قالت الضفدعة العمياء:
إنها فراشة

لها قرنان صغيران.
أجابت الأخرى
إنها الحلزونة
أيتها الحلزونة هل أنت
قادمة من بلدان أخرى
(لقد جئت من بيتي
وأريد أن أعود إليه فورا)
إنها دودة نذلة
قالت الضفدعة العمياء مستغربة
ألم تعودي تغنين ؟
لم أعد أغني ، قالت الحلزونة
ولم تعودي تصلين
ولا أصلي أيضا ، بل لم أتعلم
أبدا كيف أصلي.
ألا تؤمنين بالحياة الخالدة ؟
وما هي هذه الحياة الخالدة
مه ، أن تعيشي أبديا في الماء
الشفاف قرب

أرض مزهرة من المروج الغنية)
حين كنت طفلة
قالت لي جدتي المسكينة
انه بعد موتي سأرحل
فوق ألطف أوراق الأشجار العالية.
إن جدتك زنديقة
أما الحقيقة فنقولها لك نحن
ويجب عليك الاعتقاد بما نقول.
قالت ذلك الضفدعتان
في غضب وانفعال.
لماذا رغبت في الخروج ما كان أغناني عن رؤية الطريق ؟
ارتجفت الحلزونة وقالت
نعم . إني ساعتقد إلى الأبد
في الحياة الخالدة التي تتحدثان
عنها.
وابتعدت الضفدعتان مهمومتين
وضاعت الحلزونة الخائفة
في متاهات الغابة

وسكنت الضفدعتان المتسولتان
سكون أبي الهول.
أخيرا تسآلت أحداهما
هل تعتقدين في الحياة الخالدة ؟
فقالت العمياء في حزن ومرارة
أما أنا فلا اعتقد فيها.
اذن لماذا قلنا للحلزونة أننا نعتقد
لماذا لا أدري
قالت العمياء
إني أتأثر حين أسمع ابنائي
يتوسلون بثقة إلى الله
فوق الساقية
وعادت الحلزونة المسكينة
إلى الخلف
وفي الدرب كان صمت
يتدفق من الطريق
والتقت بفرقَة
من النمال الحمراء

كانت تتحرك في جلبة
وتجر بقوة
نملة أخرى
كسر قرناها
فتساءلت الحلزونة
صبرا أيتها النمال
لماذا تسئن معاملة
زميلتكن؟
اخبرني عنها بضمير
تحدثي أيتها النملة ، ماذا ؟
قصي علي كل شيء
فأجابت النملة المحتضرة بحزن
لقد رأيت النجوم.
فقالت النمال القلقة
ماهي النجوم؟
وتساءلت الحلزونة المهمومة
النجوم؟
فأجابت النملة

نعم . لقد رأيت النجوم
صعدت فوق أعلى الأشجار
التي تقوم على الطريق.
وفي ظلمتي المحيطة
شاهدت مئات العيون.
فتسألت الحلزونة
ولكن أي شيء هي. هذه النجوم ؟
إنها أنوار نحملها في رؤوسنا ؟
فعلقت النمال
نحن لا نراها.
وقالت الحلزونة
إن بصري يبلغ مستوى العشب فقط
وقالت النمال
وهي تحرك قرونها
سنقتلك ، لأنك كسول وطالحة
إن قانونك هو العمل
نعم . لقد رأيت النجوم
قالت النملة الجريحة ذلك باصرار

واطلقت الحلزونة حكمها قائلة
دعوها تمضي إلى حيث تريد
وانصرفن إلى أعمالكن فربما
قضت عما قريب
وفي الجو العذب اللطيف
عبرت نحلة
والنملة المحتضرة.
أحست بالمساء الكثيف
فقالت
تعالي خذيني إلى أحدى النجوم.
وهربت النمال
بعد أن رأتها تموت
نهدت الحلزونة
وابتعدت مندهشة
وملأتها الأبدية بالاضطراب
قالت : الطريق لانهائي
ربما أمكن الوصول من هنا
إلى النجوم

ولكن بطئي الشديد يحول
دون وصولي إليها
فلنترك التفكير فيها كليًّا
كان كل شيء ذَائبًا
في الشمس الشاحبة والضباب
ونواقيس بعيدة
تهتف بالحضور إلى الكنيسة
والحلزونة المسالمة
برجوازية الدرب
مندهشة هادئة
كانت تمضي في تأمل المشهد

غرناطة ، ديسمبر 1918

أغنية خريفية

اليوم ، أشعر
في قلبي
برعشة نجوم غامضة .
ولكن طريقي ضائعة
في روح الضباب
إن النور
يحطم أجنحتي
وآلام حزني
تغسل ذكرياتها
في نبع الأفكار .

كل الورود بيضاء
بيضاء بلون شقائي .

لم تكن الورود بيضاء
بسبب الثلوج التي غمرتها ،
فقبل أن يظهر قوس قزح
كان الثلج ينحدر فوق روحي .
وثلج النفس
قطراته من القبلات
والمشاهد الغارقة
في الظل
أو في نور من يفكر فيها .

الثلج يتساقط عن الورود
ولكن ثلج النفس
يبقى .
ومخلب الأعوام
يجعل منه كفنا .

أيذوب الثلج
حين نلقى المنية ؟

أم تكون هناك ثلوج أخرى
وورود أخرى أكمل صورة وأبهى ؟
هل يخيم علينا السلام
كما بشّر بذلك المسيح ؟
أم ليس هناك من حلّ ممكن للمعضلة ؟
إذا كان الحب يخدعنا
فمن يبعث الروح في حياتنا ؟
وإذا كان الشفق يغرق في المعرفة الحقيقية للخير الذي يحتمل أن لا
يكون له من وجود
والشر الذي يدق بالقرب منا ؟

إذا انطفأ الأمل
وانبعثت بابل من جديد
فأية شعلة
تضيء طريق الأرض؟
إذا كانت زرقة السماء وهما فما مصير البراءة ؟
وماذا يكون القلب
إن لم تكن للحب سهام ؟

إذا كان الموت صدقا وحقا ما مصير الشعراء ؟
والأشياء الخافية التي لم يعد يذكرها أحد ؟
آه ياشمس الأمل
أيتها المياه الصافية ، والقمر الوليد ، ياقلوب الأطفال ، وياأرواح
الصخر القاسية اليوم أشعر في قلبي برعشة نجوم غامضة
وكل الورود بيضاء
بيضاء بلون شقائي .

غرناطة، نوفمبر 1918

أغنية ربيعية

الأطفال يخرجون من المدرسة
فرحين.
ويطلقون في جو ابريل الفاتر
أغنيات رقيقة.
يالها من فرحة في عمق صمت الطريق
صمت تهشمه قطعا
ضحكات فضيّة جديدة.
أتجول في درب المساء
بين أزهار الحقل
تاركا فوق الطريق
مياه حزني.
وفوق الجبل الوحيد
مقبرة البلد

تبدو كأنها حقل مزروع
ببذور الجماجم .
وقد ازدهرت أشجار الشربين
مثل رؤوس عملاقة تتأمل الأفق
في تفكير وألم
داخل المدارات الفارغة .
وغدائر خضراء .
يا إبريل المقدس
الذي يأتي مليئا بالشمس والعطر
املأ بالأعشاش الذهبية
الجماجم المزدهرة

غرناطة، 28 مارس 1919

أغنية صغرى

فوق أجنحة البلبل
قطرات من الندى
قطرات صافية من القمر
خثرتها الأوهام

مرمر النبع
له قبلة التدفق
حلم النجوم المتواضعة

طفلات الحدائق
يقلن لي وداعا
كلما مررت بهن .
والنواقيس تقول لي وداعا

والأشجار تتبادل القبل في الأصيل
وأنا أبكي في الطريق
غريب ولا حل عندي
أحمل حزن سيرانو
ودون كيشوت
المنقذ
من المستحيلات التي لانهاية لها .بإيقاع الساعة .
وأرى الزنبق يذبل
لملامسة صوتي
المبقّع بالنور الدامي .
وفي أنشودتي الغنائية
أرتدي ثياب بهلوان
معفّر بالمساحيق.
والحب ، ذلك الجميل النظيف
اختفى تحت عنكبوت .
والشمس مثل عنكبوت آخر تخفيني
بمخالبها الذهبية .
لن أكون أبدا سعيدا

لأني مثل الحب ،
أسهمه من الدموع
وكنانته القلب .
سأعطي كل شيء للآخرين
وأبكي هواى
مثل طفل مهجور
في قصّة منسيّة

غرناطة 1918

ظل روحي

ظل روحي
يهرب في غروب من الكلمات الهجائية
وضباب من الكتب
والكلمات .

ظل روحي

لقد بلغت الخط الذي يتوقف
فيه الحنين
وتتحول فيه الدمعة
إلى مرمر للروح

ظل روحي

عقدة الألم
تنتهي

ولكن يبقى السبب والجوهر
من منتصف نهاري القديم من الشفاه
ومنتصف نهاري القديم
من النظرات

متاهات عكرة
من النجوم المتبخرة
تقيد أوهامي
الذابلة تقريبا .

ظل روحي

هذيان
يستدر النظرات
وأرى كلمة حب

تتهدم
يا عصفوري
ياعصفوري
أما زلت تغرد ؟

مدريد 1919

مرثية النبيلة خيوفانا المجنونة

أيتها الأميرة العاشقة دون استجابة
يا قرنقلة حمراء في واد مهجور
إن الضريح الذي يضمك
ينضح بالحزن
عبر العيون المفتوحة فوق المرمر

كنت حمامة الروح العملاقة
صبغ عشها من دماء تربة كاستيليا
لقد بددت نارك في كأس من الثلج
وكسرت أجنحتك لكي تغذيه .

كنت تحلمين بحب في جمال الطفل
الذي يتبعك ماسكا أذيال ازارك

وعوضا عن الزهور والأشعار وقلائد
اللؤلؤ ، قدم الموت إلى الغصن
ورودا ذابلة .

كنت تحملين في قلبك الهالة الرائعة
التي أحاطت بأزابيلادي سيجورا مالـبيا
وكان غناؤك كالحسّون الذي رأى
أن انشقاق الأفق أصبح فجأة رتيبا ومريرا

إن صرختك ترجف دعائم آل بورجموس
وتخنق تراتيل النساك الجماعية
وتصطدم بصدى الأجراس البطيئة
ضائعة في الظل المرتجف الممزق .

كأن لك الهوى الذي تمنحه سماء أسبانيا
هوى الخنجر والنظرة والنحيب
آه يا أميرة الأصيل الارجواني المقدسة
بالصخرة الحديدية وخيوط الفولاذ

لم تظفري أبدا بالوكر ولا بالغزلية الحزينة
أو القيثار الذي يتوجع بعيدا
والتروبادور كان شابا موشّى بقشور الفضّة
وايقاع لهجته الغرامية كان مثل صدى البوق

ومع ذلك كله فقد خلقت للحب
خلقت للتنهدات والاستسلام والمغازلة
والملاطفة وللبكاء بكاء حزينا
فوق قلب الحبيب ، تعابثين أكمام الوردة
العطرة بشفتيك ،

خلقت لتنعمي بروعة القمر المطرز فوق صفحة النهر
والشعور بالحنين الذي يجره القطيع خلفه
ورؤية حدائق الظل الخالدة
أيتها الأميرة السمراء ، النائمة تحت المرمر
ألك العينان السوداوان المفتوحتان للنور ؟
أم أن في نهديك المفرغين تعشش الثعابين

أين هي قبلاتك التي ألقيت للريح ؟
أين حزن حبك البائس؟
في تابوت الرصاص ، داخل هيكلك
العظمي .
لك قلب قد قطع ألف قطعة

إن غرناطة تحفظك كأيقونة مقدسة
أيتها الأميرة السمراء التي تنامين تحت المرمر كانت هلواز وجيوليت.
زهرتي مرجريت

أما أنت فقد كنت قرنفلة حمراء دامية
جاءت من أرض كاستيليا المذهبة
لكي تنام بين الثلج وبين أشجار
الشربين العفيفة

كانت غرناطة فراش موتك
أيتها النبيلة خوانا .
وأشجار الشربين شموعك.

وقمم الجبال المثلّمة هيكلك .
ومسحاة الثلج تهديء قلقك
مع المياه التي تجري قريبا منك
مياه نهر الداورو .

غرناطة كانت فراش موتك
ياخوانا
بأبراجها العتيقة وحديقتها الصامتة
العليقة الخضراء التي جفت فوق الجدران الحمراء
والضباب اللازوردي والريحان الرومانتيكي

أيتها الأميرة العاشقة التي لم يحسن الاستجابة لحبها
قرنفلة حمراء في واد عميق مهجور
إن الضريح الذي يضمك
ينضح بحزنك
عبر العيون المفتوحة فوق المرمر .

غرناطة 1918

جدجد

جدجد
طوبى لك
أنت الذي فوق بساط الأرض
تموت منتشيا بالنور

أنت تعرف من الأرياف
سر الحياة
وحكاية الحورية العريقة
التي أحسّت بميلادها
أن العشب يختني فيك .

جدجد
طوبى لك أنت

تموت تحت دم قلب أزرق
النور هو الله الذي ينزل
والشمس
خرق ينسكب منه .

جلجل
طوبى لك أنت
إذا أحسست في النزع
كل ثقل الزرقة .

كل ما هو حي خافق
يمر عبر أبواب الموت
برأس مطرق
وبجو أبيض ناعس
وبكلمة ذهنية
خالية من الايقاع
بحزن
مغطى بالصمت

الذي هو إزار الموت .

ولكنك أنت أيتها الجدجد
تموت مليئا بالأنغام
وتظل متجسدا
في الصوت والنور السماوي
طوبى لك أنت
يلفك في إزاره
الروح القدس نفسه
الذي هو النور .

جدجد
أيها النجمة الصادية
فوق الحقول النائمة
الصديق القديم للضفادع
والصراصير السوداء
لك مدفن ذهبي
والأشعة المرتعشة

للشمس التي تمسك بلطف
في عنفوان الصيف
والشمس تحمل روحك
لتجعل منها نورا .

قلبي يصبح جدجدا
فوق الحقول المقدسة
في السماء الزرقاء المجروحة
وحين تأخذ المرأة التي أعرفها
في الإحتضار
تنثره بيديها
في التراب
ودمي فوق الحقل
ليكن وحلا ورديا حلوا
حيث الفؤوس توارى
الفلاحين المرهقين

جدجد

طوبى لك أنت
إذا جرحتك سيوف الزرقة الخفية

فوينتي فيجاروس
غرناطة

غرناطـة ، 3 أغسطس 1918

بالاد حزينة

يا أطفال المرج الطيبين
قلبي فراشة
أسرها عنكبوت الزمن الرمادي
الذي يملك لاقوح الخيبة الحتمي

حين كنت صغيرا
غنيت مثلكم
يا أطفال المرج الطيبين
وحررت صقري
بأربعة مخالب قططية خطيرة

وعبرت حديقة قرطاجنة
ملتمسا زهرة (رعي الحمام)

وفقدت خاتم سعادتي

وكنت أيضا فارسا
في أمسية ندية من شهر مايو
لقد كانت حينذاك معضلة في نظري
نجمة زرقاء فوق قلبي البكر
وركبت خيولي ببطء نحو السماوات
كانت أمسية يوم أحد من أمسيات الأعشاب الطيبة
ورأيت أنها بدلا من الورود والقرنفل
كانت تقطع الزنبق بيديها

لقد كنت دائما إنسانا قلقا
يا أطفال المرج الطيبين
وضمير التعظيم في مخاطبة الأنثى في الروايات الرومانسية
يغمسني في أحلام من النور
فمن الذي سيقطف ورود وقرنفل شهر مايو ؟
ولماذا لا يراها سوى الأطفال
فوق جوادها المجنح ؟
أهي النجمة نفسها التي ندعوها بحزن

في أغانينا ؟
متوسلين إليها أن تخرج للرقص في الحقول ؟
وفي إبريل الطفولة كنت أغني
يا أطفال المرج الطيبين
ضمير التعظيم الذي تخاطب به الأنثى في الروايات الرومانسية
حيث ظهر الجواد المجنح
كنت أفضي في الليل
بحزن حبي المتجاهل
إلى البدر الذي كان يبتسم
من الذي سيقطف قرنفل
وورود شهر مايو ؟

ومن تلك الصغيرة الجميلة
التي زوجتها أمها
وفي أيه زاوية مظلمة من مقبرة
سيرقد ألمها ؟

أنا وحدي بحبي المجهول

بلا قلب
بلا دموع
نحو السقف المستحيل للسماوات
أقف مستندا إلى شمس كبيرة

لكم يثقل عليّ هذا الحزن البالغ
يا أطفال المرج الطيبين
وكيف يذكر القلب بعذوبة
الأيام البعيدة
من الذي سيقطف قرنفل
وورود شهر مايو ؟

إصباح

وأغنية الماء
شيء خالد .

إنه النسغ العميق
الذي ينضج الحقول .

إنه دم الشعراء
الذين يدعون أرواحهم
تتيه
في دروب الطبيعة .

أي انسجام ينتشر حين يتدفق من الصخر
ويستسلم للبشر

بإيقاعاته الحلوة .

الصباح مشرق
المدافىء تنفث دخانها
والأدخنة أذرع
ترفع الضباب .
اصغوا إلى حكايات الماء
بين أشجار الحور
إنها طيور بلا أجنحة
تائهة في العشب

الأشجار المغنية
تنكسر وتجف .
والجبال الهادئة
تتحوّل إلى سهول .
ولكن أغنية الماء
تظل شيئا خالدا .

نور صيغ أغنية

من الخيالات الرومانتكية
عذب ، وراسخ ، وهادىء
وعامر بالسماء ضباب وورد
الصباح الخالد
عسل القمر الذي ينساب
من نجوم دفينة

ما هو التعميد المقدس
إن لم يكن المسيح صيغ ماء
يدهن الجبين
بدم نعمته .

ليس عبثا أن يتأكد فيه المسيح .
وليس عبثا أن النجوم تستريح
فوق أمواجه .
وليس عبثا أن آلام فينوس
قد ولدت في أحضانه .
وأننا نشرب حب الحب

حين نشرب الماء .
إنه الحب
الذي يجري هادئا ومقدسا .
إن حياة العالم
هي قصة روحه .

إنه يحمل أسرار
الأفواه البشرية
لأن تقبله كلّها
لأطفاء الظمأ
إنه فلك من القبلات
والأفواه التي سدت .
إنه الأسير الخالد
وشقيق القلب

لقد قال المسيح
اعترفوا للماء
بكل الألام

وبكل الآثام .
ومن أجدر منه أيها الأخوة
بأن نفضي إليه بهمومنا
إليه هو الذي يصعد إلى السماء
قزعا بيضاء ؟

ليست هناك حالة أكمل
من الحالة التي نشرب فيها الماء .
نعود أطفالا
أكثر طيبة
وتمر أوجاعنا
مرتدية أوشحة وردية .
ويضيع البصر
في بقاع ذهبية .

آه أيها الحظ المقدس
الذي لم يجهله أحد .

أيها الماء العذب
الذي يغسل فيه الكثير
أرواحهم .
لا مثيل لضفافك المقدسة .
لو أن حزنا عميقا
وهبك أجنحته .

غرناطة، 7 أغسطس 1918

مطر

للمطر سر من اللطف ، غامض
نعاس استسلامي محبب .
وموسيقي خافتة ، تنهض معه
فتنتعش لها الروح النائمة
في المشهد الريفي .

إنه قبلة زرقاء تستقبلها الأرض
والأسطورة البدائية التي تتجدد
إنه الاتصال البارد بين الأرض والسماء العريقين
مع سلام من الأمسيات الطويلة .

إنه فجر الفاكهة
وهو ذلك الذي يحمل الزهور

ويتمسح بروح القدس في البحار
ذلك الذي ينثر الحياة على المزروعات
وينثر في النفس حزنا على الأشياء
التي لا نعرفها.

إنه الحنين الرهيب لحياة ضائعة
والإحساس الحتمي بالولادة المتأخرة
أو الوهم القلق حول غد مستحيل
مع القلق الذي يقارب لون اللحم

إن الحب يستيقظ في رماد إيقاعه
فيكون لسمائنا الداخلية انتصار الدم
لكن تفاؤلنا يتحول إلى حزن
عند تأمل القطرات الميتة فوق الزجاج

إنها القطرات
عيون اللانهائي
ترمق الأبيض اللانهائي الذي أنجبها

كلّ قطرة من المطر ترتجف فوق الزجاج الملوث
تترك جروحا قاسية لاحد لها
إنها شعراء الماء الذين شاهدوا
وتأملوا ما جهلته جماهير الأنهار

آه أيها المطر الهادىء
بلا عواطف ، ولا رياح
أيها المطر الهادىء الساكن المطمئن
في الريف المشرق العذب الأضواء
أيها المطر الطيب المسالم
المطر الحقيقي
ما أحبك إلى النفس
وما أكثر إثارتك للحزن
حين تتساقط على الأشياء

أيها المطر الفرنشسكاني
الذي تحمل في كل قطرة
أرواح المنابع الصافية ، والعيون

المتواضعة.
حين تسقط برفق على الحقول
فإن ورود قلبي كلّها
تفتحها بإيقاعك

الأغنية البدائية التّي تتحدث بها للصمت
والقصة المدوية التّي ترويها للغصون
يترجمها قلبي المقفر
إلى رموز موسيقية سوداء عميقة
بلا مفتاح

إن لروحي حزن المطر الهادىء
حزنا مستسلما بأشياء لم تتحقق
ولي في الأفق نجمة متألقة
ولكن قلبي يمنعني من تأملها

أيها المطر الهادىء الذي تعشقه الأشجار
أنت العذوبة المثيرة فوق السهول

امنح النفس
الغيوم والصدى اللتين
تتركهما في روح المشهد
الريفي الناعس

غرناطة 1919

لو كان في وسع يدي تصفح القمر

إني أنطق باسمك
في الليلة المظلمة
حين تذهب الكواكب
لتشرب لدى القمر.
وتنام أشجار
الغابات الكثيبة.
وأشعر أني فارغ خاو
من المشاعر والموسيقى
مثل ساعة مجنونة
تغني موت الساعات القديمة.

إني أنطق باسمك
في هذه الليلة المظلمة ، واسمك يتردد صداه

أبعد ما يمكن
أبعد من النجوم
وأكثر وجعا من المطر الهادىء.
أيمكن أن أستمر في حبك
كما كان في الماضي
أي ذنب جناه قلبي؟
وإذا رفعت الحجب
فأي هوى جديد ينتظرني؟
أيكون هوى نقيا هادئا؟
لو كان في وسع يديَّ
تصفح القمر

غرناطة 10 نوفمبر 1919

أنشودة العسل

العسل كلمة المسيح .
ذهب حبه المنصهر .
إكتمال الرحيق .
بؤبؤ نور الفردوس .

قفير النحل ، نجمة طاهرة ،
بئر العنبر التي تغذي إيقاع النحل
ونهد الأرياف المرتعشة بالعطر والطنين

العسل ملحمة الحب
ومادية اللانهائي
روح الزهور ودمها المتوج
مكثفة عبر روح أخرى

هكذا.. فإن عسل الإنسان هو الشعر
الذي يتدفق من القلب المتألم
من منحل مغلف بالشمع
صاغته النحلة الموغلة في الخفاء.

النحل هو الأنشودة الرعوية القديمة
للراعي . الناى والزيتون
هو أخو الحليب والفواكه الجافة
ملكات العصر الذهبي المطلقة

العسل مثل شمس الصباح ،
له كل لطف الصيف
وطراوة الخريف القديمة
إنه الورقة الذابلة والحنطة

يا سائل التواضع المقدس
إنك لوديع مثل بيت من الشعر البدائي
أنت الانسجام المتجسد

الجوهر العبقري للغنائية
وفيك تنام الكآبة
وسر القبلة والصيحة

عذب ، مصفّى ، مفرط العذوبة
هذا هو نعتك
عذب كبطون النساء
عذب كعيون الأطفال
عذب كظلال الليل
عذب كالصوت ، عذب كالزنبق

وأنت في نظر من يحمل الألم والقيثار
الشمس التي تضيء الطريق
أنت نظير جميع الأشياء الجميلة
اللون والنور والايقاعات

يا سائل الأمل المقدس
حيث كمال التوازن

يبلغ الروح والمادة المندمجتين
مثل اندماج جسد ونور المسيح في القرابين

إن الروح الأسمى هي روح الزهور
أيها السائل الذي وحّد كل هذه الأرواح
إن الذي يذوقك لا يدري
أنه يبتلع الجوهر الذهبي للروح
الغنائية

غرناطة نوفمبر 1918

بكـائية

مثل المبخرة المليئة بالشهوات
تمرين عند المساء الصافي المنير
بجسدك الكابي كزهر الناردين الذابل
والجنس الغلاب ، يطل من عينيك

تحملّين في ثغرك
كآبتك لطهارة قد ماتت
وفي الكأس الديونيسيس لجوفك
العنكبوت الذي نسج الحجاب العقيم
الذي يغطي الأحشاء التي لم تزهر أبدا
مع ازدهار الورود الحية
ثمرة القبلات

في يديك الناصعتين
تحملين بكرة أوهامك
التي ماتت إلى الأبد
وفوق روحك الهوى الجائع
للقبلات اللاهبة

وحب أم تحلم بروى بعيدة
بمهود صغيرة في منازل وادعة
تغزلين بشفتيك زرقة ترنيمة السرير

مثل (شريرا) على استعداد لأن تهبي
سنابلك الذهبية
لومس الحب النائم جسدك
وكان في وسعك مثل مريم العذراء
أن تشقي بنهديك
طريقا حليبيا آخرا

ستذبلين مثل زهرة المانوغليا

ولن يقبل أحد سعير فخذيك
ولن تصل إلى غدائرك
الأصابع التي تلمسك لمس أوتار القيثار

آه ايتها المرأة الجبارة
المصنوعة من الأبنوس والناردين
لك نفس أبيض مثل اليانسون

أنت فينوس في عباءة مانيلا
تفوح بنبيذ مالقا وموسيقاها

أيتها البجعة السمراء
ان بحيرتك أزهار لوتسها من السهام
وأمواجها من البرتقال
وزبدها من القرنفل الأحمر
الذي يعطر الأعشاش الجافة تحت الأجنحة

لن يخصبك أحد ، يا أندلس الشهيدة

وقبلاتك ظلت فوق العريشة
عامرة بصمت الليل ،
والإيقاع الكدر للمياه الراكدة

ولكن جفنيك يتسعان
وشعرك الأسود يصبح فضيا
ونهديك المعطرين يرتخيان وكتفيك الرائعين ينحنيان

أيتها المرأة النشيطة ، المتوقدة
العامرة بالأمومة
أيتها (العذراء) المتألمة
التي تحمل كل نجوم السمـاء العميقة
مغروزة في قلبها الخالي من الأمل

أنت مرآة الأندلس
التي تتعذب بالآم كبيرة ، في صمت
وبمشاعر هدهدتها المراوح
وأغطية فوق الخناجر

لها رجفة الدم ، والثلج
والجراح الحمراء التي تصنعها النظرات

أنك ترحلين في ضباب الخريف
أيتها العذراء ، مثل اينيس
وسسيليا . وكلارا الحلوة
بينما أنت الباخوسية
التي كان من الممكن أن ترقص
متوجة بالعناقيد وأوراق الكروم

ان الحزن البالغ الذي يعيش في عينيك
ينبىء عن حياتك المحطمة الخائبة
ورتابة بيئتك الفقيرة
وتنظرين إلى الناس من نافذتك
وتصغين إلى وقع المطر فوق مرارة
الطريق القروية
بينما يتردد من بعيد،
رفي اضطراب وحيرة ،

ولكن عبثا تصغين إلى نبرات الريح
فلم تبلغ مسمعيك أبدا أغنية المساء العذبة
وخلف الزجاج تنظرين وتنتظرين
ياله من حزن عميق
ذلك الحزن الذي تنطوي عليه نفسك
وأنت تصغين تشعرين في أعماق القلب المتعب المستنفد
بهوى صبية لم تقع في الحب
إلا منذ وقت قريب

ان جسدك سوف ينزل القبر
لم تلمسه المشاعرة المؤثرة
وفوق الأرض المظلمة
يبزغ الفجر
ومن عينيك تخرج قرنفلتان داميتان
ومن نهديك ورود ناصعة في بياض الثلج
ولكن حزنك العظيم سيذهب مع النجوم

مثل أي نجمة أخرى خليقة
أن تجرحه وتكسفه

غرناطة ديسمبر 1918

سانتيـاغو

بالاد ساذجـة

هذه الليلة
مر سانتياغو
فوق درب من نور السماء.
بهذا يتحدث الأطفال
وهم يعبثون بمياه إحدى السواقي الهادئة

إلى أين يذهب هذا الحاج السماوي
فوق الدرب المشرق اللامحدود.
إنه يقصد الفجر الذي يتألق وراء الأفق
فوق جواد أبيض له نصاعة الثلج.

أيها الأطفال غنوا في المرج
مخترقين الريح بالضحكات

يقول الرجل الذي رأى سانتياغو
وسط مثنى محارب
موشحين كلهم بنجوم خضراء
وفرس سانتياغو
كان كوكبا من النور الكثيف

ويقول الرجل الذي يروى الحكاية
إنه في الليلة الهادئة
سمع خفقات أجنحة فضية
يحملها الصمت في أمواجه بعيدا .

ما الذي أوقف جريان النهر ؟
لقد كان الفرسان من الملائكة

أيها الأطفال غنوا في المرج

مخترقين الريح بالضحكات

كانت ليلة القمر الآفل
اصغوا ماذا يوجد في السماء
ويدفع الحباحب إلى شد أوتارها
ويجعل كلاب السهل كلها تنبح ؟
ـ ياجدتاه ، أين الطرق
يا جدتاه ، إنني لا أراها
ـ حدق جيدا فسوف ترى
شريطا من الغبار مثل الدقيق
بقعة تبدو كأنها من الفضة
ـ نعم.. إنني أراهما
ـ نعم.. إنني أراهما
ـ يا جدتاه .. أين سانتياغو
ـ إنه هناك في الأعالي.. يسير
ضمن موكبه
رأسه مليىء بالريش
وجسده مكسو باللالىء الدقيقة الناعمة

والقمر تحت قدميه
والشمس محبوسة في صدره
في هذه الليلة تسمع في المرج
الأغاني الغائمة من عالم الأسطورة

أيها الأطفال غنوا في المرج
واثقبوا الريح بالضحكات

(2)

عجوز تعيش في بؤس
في أعلى أطراف القرية
وتمتلك صخرة لا نفع فيها
وعذراء ، وقطتين سوداوين
وتنسج الجوارب
بأصابعها الجافة المرتجفة
محاطة برفيقاتها
وأطفال قذرين نشطين

في سكون الليلة الهادئة
والجبال ضائعة في سواد الأفق
كانت تقص بايقاعات بطيئة
الرؤيا التي شاهدتها في زمانها
الغابر
لقد رأت في ليلة بعيدة
مثل هذه الليلة ، بلا ضجيج
ولا رياح ، الرسول سانتياغو
شخصيا حاجا فوق صفحة السماء
ـ وكيف كان زيه أيتها الرفيقة ؟
سألها عن ذلك صوتان في وقت
واحد .
ـ بأفواف من الزمرد واللآلئ
وقبعة من القطيفة
حين مر أمام الباب
فتحت حماماتي أجنحتها
والكلب الذي كان نائما
لحق به وأخذ يلعق أقدامه

لقد كان حلوا هذا الرسول المقدس
أحلى من قمر شهر يناير
وقد ترك على الدرب
أريجه الذي يضوع بروائح الزنبق والبخور
ـ ألم يقل لك شيئا أيتها الرفيقة ؟
سألها عن ذلك صوتان في وقت
واحد .

حين مر نظر إلي باسما
وترك لي هنا نجمة
فسألها أحد الأطفال النشطين
ـ أين تحفظين هذه النجمة ؟
وقال آخرون
ـ لقد أنطفأت كأي شيء رائع
ـ لا ياأبنائي .. ان النجمة مازالت تتألق
وإني لأحملها محفوظة في قلبي
ـ وكيف هي النجوم .. هنا ؟
يابني ، إنها كما هي في السماء

ـ تابعي .. تابعي أيتها الرفيقة العجوز
إلى أين رحل الرجل المجيد ؟
ـ لقد اختفى في تلك الجبال
مع حماماتي البيضاء وكلبي
وترك لي الدار مليئة بالورود
والياسمين
وعناقيد الدالية الخضراء نضجت
ووجدات مخزني مليئا بالقمح في اليوم التالي
وكان ذلك كله من فضل هذا القديس
ـ يا له من حظ هذا الذي نالك
أيتها الجدة
عقب بذلك صوتان في وقت واحد
ونام الأطفال
وغرق الناقوس في صمت عميق
أيها الأطفال ، فكروا في سانتياغو
فوق دروب الحلم المختلطة
أيتها الليلة الصافية ، من نهاية شهر يوليو
لقد عبر السماء سانتياغو

ان الحزن الذي تنطوي عليه نفسي
تركه فوق الدرب الأبيض
ليرى إذا كان الأطفال سيعثرون عليه
ويغرقونه في الماء
ليرى إذا كان في الليلة المرصعة بالنجوم
ستحمله الرياح إلى بعيد

غرناطة 1918

الماس

البريق الماسي للنجمة
قد رسم خلفية السماء.
طير من النور
يرغب في الأفلات من الكون
والهروب من الوكر الرحب
الذي سجن به
دون أن يدرى أنه يحمل القيد
مشدودا إلى عنقه

صيادون من خارج العالم البشري
يصطادون النجوم ،
وأسراب من البجع الفضية

تطفو فوق مياه الصمت
وأشجار الحور النامية
تتلو حروف هجائها :
والمعلم ، شجرة حور عتيقة
تحرك في هدؤ ، أذرعها الميتة
والآن ، وفوق الجبل الفضي
سيلعب جميع الموتى لعبة الورق
إنها لحزينة الحياة في المقبرة

أيتها الضفدعة ، اشرعي في الغناء
وأنت أيها الجدجد اخرج من جحرك
ولتصنعا غابة بأنغام النايات
أما أنا فسأطير نحو البيت
بلا اطمئنان

وفي دماغي تنتفض
حمامتان من حمام الريف
وفي الأفق البعيد

يغرق خزان مياه النهار
بالناعورة الزمن ، الرهيبة

غرناطة نوفمبر 1920

في ذكـرى

يا شجرة الحور الحلوة ،
ياشجرة الحور الحلوة ،
لقد صرت
من ذهب
أمس ، كنت خضراء .
خضرة مجنونة بالطيور
المجيدة .
أما اليوم
فقد أطيح بك تحت سماء أغسطس .
مثلي أنا
تحت سماء روحي الحمراء .
إن العطر الحبيس
في جذعك

يلمس قلبي
الشفيق
يا حكيمة المرج الخشنة
نحن
صرنا
من ذهب

اغسطس 1920

غزليات صيفية

وخّدي فمك الأحمر بفمي
يا إسترلا الغجرية
وتحت الساعة الشمسية لمنتصف النّهار
سأنهش التفاحة .

بين الزياتين الخضراء في المرج
برج عربي ،
في لون بشرتك القروية
التي تعرف العسل والفجر .

إنك تقدمين إليّ جسدك اللاهب
الغذاء المقدس

الذي يهب للجدول الهادىء زهورا
وللريح نجوما .

كيف وهبت نفسك لي ، أيتها
النور الأسمر ؟
ألكي أوقظ ما هو عامر بالحب
في شهوات الزنبق وصخب النهدين ؟

هل كان ذلك بسبب حزني ؟
بالخطواتي السخيفة
ربما أثارت الشفقة في نفسك
حياتي الخابية الخالية من الأغنيات ؟

لماذا لم تفضلي على شكواي
فخذي فلاح تنضحان عرقا
جميلتين تقيلتي الوطأة عند المضاجعة ؟

كنت معي دنايدية اللذة

سلفانو الأنثوي
وكانت قبلاتك تفوح مثل حنطة الصيف الجافة .

غطي على بصري بغنائك
وفكي خصلاتك
المهيبة المنشورة مثل وشاح
من الظلال فوق المروج .

وارسمي بالفم الدامي
سماء الحب ،
على خلفية من الجسد
نجمة الألم البنفسجية .

جوادي الأندلسي
أسير عينيك المفتوحتين
وسيطير خائبا مهموما حين
يبصرهما ميتتين.

إذا لم تحبيني فسوف أحبك
لنظرتك الساهمة
مثل ما تعشق القبرة النهار الجديد
من أجل الندى .

وحدي فمك الأحمر بفَمي
(إسترلا) الغجرية
ودعيني تحت النهار المشرق
أستهلك التفاحة .

أغسطس 1920

أغنيات جديدة

الماء يقول : أنا ضمآن للظل
والقمر يقول : أنا ظمآن للنجوم
والنافورة البلورية تلتمس الشفاه
والريح تتوق للتأوهات والتنهدات

أنا ظمآن للشذى ، ظمآن للضحك
ظمآن للأغاني الجديدة
لاأقمار فيها ، ولا زنابق
ولا غراميات ميتة

أغنية صباحية تهز
مستنقعات المستقبل الهادئة الراكدة وترجها
وتملأ أوحالها وأمواجها بالأمل
أغنية رحيبة مضيئة

عامرة بالفكر،
بكر بحزنها ولوعتها
بكر بأحلامها
أغنية دون كساء غنائي
يملأ الصمت ضحكا .
(كسرب من الحمام الأعمى
قذف به إلى المجهول)

أغنية تمس قلب الأشياء
وروح الرياح
وتستقر أخيرا
في فرحة القلب الأبدي .

اغسطس 1920

فجـر

قلبي المكمود
يحس مع الفجر
بعذاب الحب ،
وحلم المسافات .
وضوء الفجر
يحمل إليّ مشتلا من الحنين
وحزنا بلا عيون
ينبعث من صميم الروح
وضريح الليل الضخم
ينشر حجابه الأسود
لكي يخفي في رائعة النهار
القمة الهائلة المرصعة بالنجوم .

ما عساني أفعل في هذه الحقول ؟
أجمع الأعشاش والأغصان

يحيط بي الفجر
وقلبي ملآن بالليل !
ماذا أفعل إذا كانت عيناك
قد ماتتا عن الأضواء الساطعة
وجسدي لم يعد قادرا على أن يحس
بدفء نظراتك !

لماذا فقدتك إلى الأبد
في تلك الأمسية الصافية ؟
إن قلبي اليوم جاف
مثل نجمة خابية .

غرناطة ، ابريل 1919

حــدس

الحدس
هو مسبار الروح
في أعماق السر .
أنف القلب
الذي يكتشف
في ظلمة الزمن .

أمس ، هو ماذبل .
والشعور مقبرة الذكرى

وأول أمس ، هو مامات .
كهف الأراء المحتضرة
والخيول المجنحة الطليقة العنان .

حرش الذكريات
وصحراء ضائعة في ضباب الأحلام

لا شيء يزعج
العصور الماضية .
لا يمكننا أن ننتزع
تنهيدة واحدة
من الأشياء الماضية.
إن الماضي يضع
درعه الحديدي
ويسد أذنيه
بقطن الريح .
ولا يمكننا مطلقا
أن ننتزع منه سرا .

عضلات أحقابه
ودماغ أفكاره الذابلة
المتعفنة ،

لا يمكن أن تقدم إلينا الشراب
اللازم لقلب ظاميء .

ولكن المستقبل الطفل
سيقول لنا
بعض السر
حين يلعب في فراش النجوم
ومن السهل خداعه

من أجل ذلك
لنقدم إليه صدرنا
فإن خُلد الحدس الصامت
سيحمل إلينا جلاجله
حين ينام

اغسطس 1920

أغنية إلى القمـــر

أيتها السلحفاة البيضاء
أيها القمر الناعس
يالروعة سيرك البطيء
تغمض جفنا من الظلال
وتحدق بحدقة أثرية
لعلك...
(الشيطان أعور)
رفات .
درس حيّ .
للفوصويين
لقد أعتاد (جيوفا)
زرع حقوله
بعيون ميتة
ورؤوس الجيوش المعادية .

قاسيا كان يلف
الوجه المقدس
بلثام من الضباب البارد .
مُودعا كواكب حلوة
خالية من الحياة
لدى الغراب النهاري الأشقر .
لهذا أيها القمر
أيها القمر الناعس
أراك تحتج
بلا أنسام
للعسف الكبير
الذي يمارسه طغيان (جيوفا)
هذا الذي يعبرك دوما
على الطريق نفسه !
بينما هو ينعم
برفقة (المرأة الموت)
التي هي عشيقته .
أيها السلحفاة البيضاء
أيها القمر الناعس

يافيرونيكا الطاهرة
للشمس التي تنظف عند الغروب
محياك المتوهج .
ليكن لديك الأمل
يا موتا نظيفا
لأن لينين رفيقك العظيم
النجمة القطبية
عزيزة السماء الوحشية
التي ستذهب بهدوء
لتقدم عناق التحية إلى العظيم العريق
من الأيام الستة .
وحينئذ
أيها القمر الأبيض
ستأتي مملكة الرماد الخالصة .
(هل فهمتم
أني عدمي)

أغسطس 1920

بكائية الصمت

أيها الصمت
إلى أين تحمل بلورك المضبب
بابتسامات الشجرة ، وكلماتها ونحيبها ؟
كيف تنظف ، أيها الصمت
ندى الأغنية
والبقع الصارخة التي تتركها البحار النائية
فوق ردائك الأبيض الهادىء الشفاف ؟
من الذي يضمد جروحك
فوق الحقول
حين تزرع ناعورة عتيقة
سهمها البطىء

في صفائك البلوري الهائل ؟
إلى أين أنت راحل
إذا كانت نواقيس الفجر تجرحك
وتكسر راحتك
أسراب الموشحات والأغاني الشعبية
والضجيج الذهبي العظيم
الذي تهاوى بلوعته
فوق الجبال الزرقاء ؟

إن جو الشتاء
يكسر زرقتك
والنحيب الصامت
لبعض الينابيع الباردة
يقطع غاباتك
وحينما أردت أن تريح كفك
وجدت شوك الضحكات
أو الضربة القاصمة للعواطف
وإذا اتجهت إلى الكواكب
فإن جوقة الطيور الزرقاء المهيبة

تحطم التوازن العظيم
لفكرك الخافي

أنت صوت
في هروبك من الأصوات.
أنت طيف الانسجام
وضباب الصرخة والبكاء
فتعال لنقول
الكلمة اللانهائية
في الليالي المظلمة
بلا أنفاس ولا شفاه.

متخنا بالنجوم
وناضجا بالموسيقى
أين تحمل أيها الصمت
ألمك المتجاوز قدرة البشر
ألم أن تكون أسيرا
في النسيج العنكبوتي الغنائي

أيعمى إلى الأبد
نبعك المقدس ؟

واليوم وبأفكار عكرة مضطربة
تجر أمواجك
الرماد الناطق
وألم الماضي .
وصدى الصرخات
التي تتلاشى إلى الأبد
وهدير البحر القديم المحنط

إذا نام (جويفا)
فاصعد إلى عرشه المتألق
واكسر فوق جبينه
نجمة خامدة

ودع حقا
الموسيقى الخالدة

الانسجام الناطق للنور
وعد في هذه الأثناء
إلى نبعك
حيث في الليلة الخالدة
وقبل الله ، وقبل الزمن
كنت تنهض في سكينة

لوليو 1920

بالاد يوم من أيام لوليو

جلاجل فضية
تسوق الثيران
ـ إلى اين أنت ذاهبة
ياطفلة الشمس والثلج ؟
ـ ذاهبة لجمع زهور المرجريت
في المرج الأخضر
ـ المرج بعيد جدا وهو خائف
ـ لا طائر البلشون ولا الظل يخافهما حبي
ـ الشمس تخاف يا طفلة الشمس
والثلج
ـ لقد رحلت عن غدائري إلى الأبد
ـ من أنت أيتها الطفلة الشقراء ؟

ومن أي مكان جئت؟
ـ لقد جئت من الغراميات ومن الينابيع
جلاجل فضية
تقود الثيران

ـ ماذا يشتعل بثغرك ؟
ـ نجمة حبي التي تحيا وتموت
ـ ماذا تحملين في قلبك اللطيف الرقيق
ـ سيف حبي الذي يحيا ويموت
ـ ماذا في عينيك من أسود
ومهيب
ـ أفكاري الحزينة التي تجرحني
ـ لماذا تَرتدين إزار الحداد ؟
ـ آه . إنني الأرملة الصغيرة الحزينة
بلا ميراث
أرملة نبيل الغار الأسمى
عم تبحثين هنا إذا كنت لا تعشقين أحدا ؟
ـ إنني أبحث عن جثة نبيل الغار الأسمى

ـ إنك تبحثين عن الحب أيتها الأرملة
الصغيرة الماكرة
أنت تبحثين عن حب يحتمل أن تعثري عليه
ـ نجوم السماء ، رغباتي
أين أجد عشيقي الذي يحيا
ويموت ؟
ـ لقد مات غرقا في الماء ياطفلة
الثلـج
ـ وتغطى بالحنين والقرنفل
آه يا فارس أشجار الشربين الجواب
في ليلة من ليالي القمر
ستعطيك روحي
ـ آه يا إزبريس الحالمة
يا طفلة بلا عسل
أنت التي تسكتين الرواية على شفاه الأطفال
اني أقدم إليك قلبي
قلبا لطيفا
جرحته عيون النساء

ـ أيها الفارس اللطيف
لتبق في رعاية الله
إني ذاهبة البحث عن
نبيل الغار
ـ وداعا ، يا آنسة
أنت ايتها الوردة النائمة
ترحلين من أجل الحب
وأنا أرحل نحو الموت

جلاجل فضية
تسوق الثيران
. .
وقلبي ينزف دما
كأنه النبع

يوليو 1919

حلم

إن قلبي يستريح قرب النبع البارد
(فلتملأه بخيوطك
يا عنكبوت النسيان)

وماء النبع يغني أغنيته
(فلتملأه بخيوطك
يا عنكبوت النسيان)

وقلبي الواعي يروى حكايات غرامه
(فلتنسج أسرارك
يا عنكبوت الصمت)

وماء النبع يصغى إليه عابسا

(فلتنسج أسرارك
يا عنكبوت الصمت)
إن قلبي ينزلق فوق الماء البارد

(أيتها الأيدي البيضاء . البعيدة
أمسكي الماء)

والماء يحمله بعيدا مغنيا بفرحته
(أيتها الأيدي البيضاء ، البعيدة
لم يبق شيء في الماء)

مايو 1919

مشهد طبيعي

النجوم مطفأة وهي تغمر بالرماد
النهر الأخضر البارد

ليس للنبع ضفائر
لقد احترقت الأعشاش
الخفية

الضفادع تجعل من الماء
صفارة ببهجة النشاز

والقمر يبزغ من وراء الجبل
بوجه العانس الطيبة

ونجمة تهزأ به
من داخل بيتها المشيد

بالزمرد الطفولي
واللون الوردي الخفيف
يغيظ أفق الجبل

ويلاحظ أن الغار
قد تعب من أن يكون
شعريا ونبويا

وكما رأيناه دوما
فإن الماء يرقد
باسما

كل شيء يبكي بحكم العادة
والريف كله يشكو
دون أن يفطن أَحَد لشكواه.

وحتّى لا أكون نشازا
فإني أنسب الأمر أدبا ولطفا
إلى قلبي.

ولكن حزنا عظيما
يصبغ شقّتي الملونتين بالخطايا

أبتعد عن المشهد الريفي
وفي قلبي عمق المدافن

وخفاش ينبهني
إلى أن الشمس تختفي متوجعة
في الأفق الغربي

ليكن الله في عون حبنا
(بكاء شجيرات الحور
والأشجار الصغيرة)
وفي فحم المساء

أرى عيني البعيدتين
مثل الحدأة

وأمشط روحي الميتة
بأنسجة عنكبوتية من النظرات
المنسية.
إنه الليل
والنجوم تغرز خناجرها
في النهر الأخضر البارد.

يونيو 1920

نوفمبر

كل العيون
كانت مفتوحة
أمام الوحدة
التي يغسلها البكاء .
تن
تن
تن
تن
وأشجار الشربين الخضراء
تحرس أرواحها
التي موجتها الريح .
والكلمات مثل الثعابين
تحصد أرواح الزهور.

تن

تن

تن

تن

السماء كانت ذابلة

أيها المساء المقيد بالغيوم

يا أبا الهول الأعمى

أعمدة ومداخن

تصنع فقاعات من الصابون .

تن

تن

تن

تن

الايقاعات تنحني

والريح تنحني

ومحاربون ضبابيون

يجعلون من الأشجار

منجنيقا .

تن
تن
تن
تن
أيها المساء
يا مساء قبلاتي الأخرى
أيها الهاجس البعيد لظلي
بلا شعاع ذهبي
أيها الجرس الفارغ
المساء قد تهدم
على مجامر الصمت
تن
تن
تن
تن

نوفمبر 1920

المتقلبة مع الرياح

قلب راية الرياح القاسي
في كتاب الزمن
(الأرض وجه
والسماء وجه آخر)
سقط متوجعا
على حروف الأسقف القديمة

زهرة الابراج الغنائية
وقمر الرياح
تخلت عن خيط الصليب
وبددت بتلاتها
حتّى تقع على الصفائح الباردة
التي أكلتها شرانق الأصداء

ترقد تحت صفصاف
لم يكن في وسعك أن تقاوم لأنك من حديد
ولكن كانت لك الهيئة
وكانت تكفيك

اختف تحت الوحل الأخض
للبحث عن مجدك الناري
بينما تدعوك في حزن
الأبراج ، من بعيد
وتحس في الرايات
هذر رفاقك
اختف تحت عطاء
سريرك الأخضر
فلا الراهبة البيضاء
ولا القلب
ولا القمر المتناقص
ولا النجمة
ولا سادن الدير المدنس

ستذكر صيحاتك الشتوية

اختف بهدوء
فإذا لم تفعل
فسيمسك بك باعة الحرق
آه لو كان في وسعي
أن امنحك قلبي هذا
المتقلب ، رفيقا

مدريد، ديسمبر 1920

قلب جديد

قلبي كالثعبان
خلع جلده.
وإني لأمسك به بين أصابعي
المليئة بالجراح والعسل.

الأفكار المعششة في ثناياك
أين هي ؟
أين الورود التي تشيع عطر المسيح
والشيطان ؟

أيها القماط المسكين الذي يخنق
نجمتي الخابية.
ياورق الرق الرمادى المترهل

لكل ما رغبت فيه بالأمس
واليوم لم أعد أحبه.

إني أرى فيك خلاصة من المعارف
وموميات من الأبيات الشعرية
وهياكل عظمية من سذاجاتي القديمة
وأسراري الرومانتكية.
أأعلقك على جدران
متحفي العاطفي
قرب الزنابق الباردة
الغامضة النائمة
من أدواني؟

أوأضعك فوق أشجار الصنوبر
ـ ياكتاب حبي الأليم؟
حتّى تعرف تغريد
العندليب عند الفجر.

غرناطة، يونيو 1918

غروب الشمس

الشمس غربت
والأشجار تتأمل كأنها تماثيل منصوبة
والقمح قد تم حصاده
يا له من حزن
أن تتوقف النواعير.

وكلب ريفي
يريد أن يعض كوكب الزهرة وينبح بها
وهي تتألق في حقل ما قبل القبلة
كأنها تفاحة كبيرة

والبعوض : خيول الندى المجنحة
يحلق في الجو الهادى.

وبنلوب النور العملاقة
تنسج ليلة صافية

وتثغوا النعاج
يا بناتي غنين. فقد يأتي الذئب.
وتقول زهرة ذابلة
لقد جاء الخريف يارفيقاتي

وبعد قليل سوف يعود الرعاة
بأعشاسهم ، من الجبال البعيدة
وتلعب البنات الصغيرات أمام البيت القديم
وستعلو مقاطع حب غنائية
ترددها البيوت
من الذاكرة.

اغسطس 1920

عصـــيفيـــر الورق

يا عصيفير الورق
يا نسر الأطفال
بريش الجرائد
بلا رفيقة
وبلاعش .

الأيدي التي ما تزال مبللة بالسر
خلفقتك في برد إليالٍ خريفي
حين تموت العصافير
وبجعلنا ضجيج المطر
نحب المصباح والقلب والكتاب

أنت تولد لتعيش دقائق قليلة

فوق القلعة الورقية الهشة
التي ترتفع مرتجفة راعشة
مثل ساق الزنبق
وتضل تفكر هناك ، أعمى
بلا أجنحة
إنه كان في وسعك أن تكون الرياضي
البهلواني
الذي يضحك معلقا مشدودا
إلى سلك رفيع
وأن تكون السفينة الصامتة بلا مجاديف
ولا أشرعة
والموكب الغنائي الأسطوري للحشرة
المخيفة
أو الحمار الصغير الحزين الذي يضحك
الأطفال بتحويله إلى فرس مجنح

ولكن في تفكيرك
تتساقط قطرات من السخرية

صنعت بخراطيش العلم
فتسخر من القدر وتصرخ
أيها الزهر الأبيض
لا تمت
ولا يموت لوينزيتو
الصبح خالد ،
وخالد نبع الندى

ورغم عدم ايمانك بإي شيء
فإنك تصرخ
فالأطفال لا يرون أنه يوجد ظل
خلف الكواكب
ويوجد ظل في قلعتك

وفي وسط المائدة
وفي انهيار بيتك الأزرق
رأيت أن الصقر يراك :
(لقد ولدت منذ حين

فقاعة من الرغو فوق الماء
من الألم الحي)

ولكنك تذهب إلى الشفاه المنيرة
حين تضحك الأطفال
ويسكت الأباء حتّى لا يوقظوا
الالام القريبة
هكذا تختني أيها الطائر المهرج
لتولد في مكان آخر
هكذا يا أبا الهول العصفور
تعطي قلبك، قلب العنقاء
إلى الأعراف (الليمبوس)

لوليو 1920

غـزليـة

قبلتي
كانت رمانة
عميقة ومفتوحة
وثغرك
كان وردة من ورق.
عمق المشهد حقل من الثلج

يداي كانتا من الحديد
لطرق السندان
وجسدك
كان الغروب لرنين الأجراس المتواصل.
عمق المشهد حقل من الثلج

وفي الثقب
جمجمة زرقاء
معلقة مثل هوابط الكهوف
عبارات حبي
عمق المشهد حقل من الثلج

تصبح صدئة
أحلامي الطفولية
ويمزق القمر
ألمي السليماني
عمق المشهد حقل من الثلج

الآن . . . معلم جاد
في مدرسة قاسية
لأحلامي وغرامياتي
(مهرات عمياء)
عمق المشهد حقل من الثلج

أسئلة

هناك اجتماع يعقده الجداجد في الريف
ما تقول ياماركوس أوريليوس
في عجائز السهل المتفلسفات؟
ـ ما أفقر تفكيري

ماء النهر ينساب هادئا
ياسقراط ما ترى في هذا الماء
الذي يجري نحو الموت المرير؟
ـ ما أفقر وأتعس إيماني

الورود تتعرى من أوراقها في الوحل
يايوحنا الرب اللطيف

ماذا ترى في هذه البتلات المجيدة ؟
ما أصغر قلبك

مايو 1918

نــاقــوس

ناقوس هادىء
مصلوب بايقاعه
يرسم الصباح
بعارية من الضباب.
وأنهار من الدموع
وصديقتي شجرة الحور العريقة
المشوشة ببلابلها
كانت تأمل
في أن تضع أغصانها
بين الأعشاب
قبل أن يذهبها
الخريف.
ولكن دعائم نظراتي

تسندها

ياشجرة الحور العريقة

تأهبي

ألا تسمعين حطب حبي المحطم ؟

فانبسطي فوق المرج

حين تحشرج روحي

التي أوهنها وأبلاها

إعصار من القبلات والكلمات.

اكتوبر 1920

اجتماع

يا زهرة الآلام الزرقاء
يا سندان الفراشات أيطيب عيشك
على مبرد الساعات ؟

(آه أيها الشاعر الصبياني
حطم ساعتك)

أيتها النجمة الزرقاء الساطعة
ياسرّة الفجر
أيطيب عيشك
فوق رغوة الظل ؟

آه أيها الشاعر الصبياني

حطم ساعتك

أيها القلب الأزرق
يا مصباح مضجعي
أتحسن الخفق
من غير دمي الفيلارمونيكي ؟

آه أيها الشاعر الصبياني
حطم موسيقاك

إني أفهمك
وأترك في الدرج حشرة الزمن .
وقطراته المعدنية
لن تسمعك
في هدوء المضجع
وسأنام مطمئنا
كما تنامين أنت
يازهرة الآلام ، وأنت أيتها النجوم

وفي الختام
ستحلق الفراشة
في تيار الساعات .
بينما تنمو فوق جذعي ،
الوردة .

اغسطس 1920

مـدخـل

ها هو قلبي
يا رباه
اخترقه بصولجانك
يارباه
فهو سفرجلة
خريفية جدا ، وفاسدة
انتزع هياكل الغنائيين الصقور
الذين جرحوه جرحا بالغا
وإذا كان لك منقار
فانزع عنه قشرة السأم
وإذا لم ترغب في أن تفعل ذلك
فغير مهم
فاحفظ سماءك الزرقاء

المثيرة للسأم
ورقصة الكواكب
ولا نهائيتك
لأني سأستعير
قلب صديق
قلبا بجداول
وأشجار صنوبر
وعصفورا من حديد
يتحمل مطرقة العصور
ثم أن الشيطان يحبني كثيرا
وكان رفيقا لي
في امتحان فسق
سيبحث الماكر عن مرغريتا
مرغريتا السمراء
التي قدمها لي
ووراءنا مشهد الزيتون العتيق
بضفيرتين
لها لون ليالي الصيف

حتّى أمزق فخذيها البيضاويين
وحينئذ
ياربّاه
سأكون غنيا مثلك
أو أكثر
لأن الفراغ
لا يمكن أن يقارن بالنبيذ
الذي يحمي به الشيطان
أصدقاءه الطيبين
شراب مصنوع من النحيب
لا يهم
إنه شرابك نفسه
المصنوع من زغاريد
قل لي يا رباه
يا إلهي
تغمسنا في ظلال الهاوية
هل نحن طيور بلا أوكار؟
النور ينطفىء

فأين الزيت المقدس ؟
والأمواج تتوجع
ويلذ لك أن تلعب بنا
كما لو كنا بيادق .
قل لي يا رباه
يا إلهي
ألا يصل ألمنا إلى مسمعيك ؟
ألم تصنع شكاتنا (بابلا) أخرى ؟
حتى تجرحك ؟
أم تروق لك الصرخات ؟
هل أنت أصم ؟
هل أنت أعمى ؟
أم أنت أحول الروح ؟
وتنظر إلى الروح الإنسانية
بأوزان مقلوبة ؟
أيها الإله الناعس
انظر قلبي
إنه مثل السفرجل

الخريفي جدا ،
المتعفن
إذا كان لنورك أن يطلع
فلتفتح العيون الحية
ولكن إذا راق لك الاستمرار
في النوم
فتعال أيها الشيطان الجوال
الجواب الملطخ بالدم
هات لي مرغريت
سمراء بين أشجار الزيتون
بضفائر في لون الليالي الصيفية
وأنا أعرف
كيف أوقد عينيها المهمومتين
بقبل ملطخة بالزنبق
وسأسمع في إحدى الأمسيات العمياء
نداء هنريك حبيبي.. هنريك الغنائي
بينما تمتلىء جميع أحلامي
بالندى

وهنا ، أترك لك يا مولاي
قلبي القديم
وأرحل لأستعير قلبا آخر جديدا
من صديق
قلبا بجداول وأشجار صنوبر
قلبا بلا ثعابين ولا زنابق
قلبا صلبا
برشاقة فلاح شاب
يتخطى النهر بوثبة واحدة .

24 لوليو 1920

أمسية

أمسية ممطرة
والجو رمادي مرهق
وهكذا كل الأشياء.
الأشجار الجافة
غرفتي المنفردة
واللوحات القديمة
والكتاب الجديد الذي لم تفصل أوراقه.
ينضح الحزن من الأثاث
ومن الروح
ربما للطبيعة من أجلي
قلب من البللور.
وتوجعني جسدية القلب.
وجسدية الروح.

وحين أتحدث
تظل كلماتي في الهواء
مثل الفلّين فوق الماء
من أجل عينيك فقط
أعاني هذا العذاب
يا أحزان الماضي
يا أحزان المستقبل القادمة.

أمسية ممطرة
والجو رمادي مرهق
والحياة تمضي

نوفمبر 1919

هناك أرواح

هناك أرواح
لها نجوم زرقاء
وإصباحات جافة
بين أوراق الزمن
وزوايا طاهرة
تحتفظ بضجيج قديم
من الحنين والأحلام.

وأرواح أخرى
لها أشباح مؤلمة
من العواطف
وفواكه ينخرها الدود

وأصداء صوت محترق
يأتي من بعيد
مثل سيل من الظلال
ذكريات خالية من البكاء
وشظايا قبلات
أما روحي فهي ناضجة
منذ وقت بعيد
وتتفتت
ممتلئة بالأسرار.
لألىء شبابية
ورود الحلم
تسقط كلّها من أفكاري
فوق الماء.
وكل لؤلؤة تقول :
(إن الله بعيد جدا)

8 فبراير 1920

بالاد داخلي

القلب
الذي كان لي أيام المدرسة
التي رسمت على لوحتها حروف الهجاء
أيوجد فيك
أيها الليل الحالك ؟

(بارد ، بارد
مثل ماء النهر)

والقبلة الأولى
التي عرفتها بين القبلات
والتي كانت لشفاهي الطفولية
مثل المطر المنعش، أتوجد فيك

أيها الليل الحالك؟
(بارد ، بارد ،
مثل ماء
النهر)
وبيت شعري الأول
والطفلة ذات الضفائر
التي كانت تسكن أمام بيتي
أتوجد فيك أيها الليل الحالك ؟

(بارد ، بارد
مثل ماء النهر)

ولكن قلبي
الذي نخره الدود
ذلك القلب الذي كان معلّقا
فوق شجرة المعرفة .
أيوجد فيك
أيها الليل الحالك ؟

(دافىء ، دافىء
مثل مياه النبع

وحيِّ الجوّال
القلعة المتّهاوية
ذات الظلال الصدئة

أيوجد فيك
أيها الليل الحالك ؟

دافىء ، دافىء
مثل مياه النبع)

آه ، أيها الألم العظيم
في كهفك لا تقبل سوى الظل
أليس كذلك
أيها الليل الحالك ؟

(دافىء ، دافىء
مثل مياه النبع)

آه ، أيها القلب التائه
استرح إلى الأبد

16 لوليو 1920

الورل العجوز

في الدرب الملتهب
رأيت الورل الطيب
(نطفة تمساح)
غارقا في التأمل
بسترته الخضراء
مثل راهب من رهبان الشيطان
الياقة مُنشَّاة
والهيئة سليمة منضبطة
كأنه أستاذ عتيد
وتانك العينان الجافتان
لفنان خائب
ياللكيفية التي يتأملان
بها المساء المحتضر

هل هذه هي جولتك المسائية
أيها الصديق ؟
استعمل العصا ، إنك لشيخ كبير
أيها السيد الورل
وفي وسع أطفال البلدة
إفزاعك
عمّ تبحث في الدرب ؟
أيها الفيلسوف القصير النظر
لترى إذا كان الشبح المتردد
من ليلة أغسطس
قد مزق الأفق ؟
هل تبحث عن الصدفة اللازوردية
في المساء المحتضر ؟
عن شظية نجمة ؟
أم لعلك تدرس كتابا للامرتين
وتعجبك زقزقة العصافير

تتأمل الشمس الغاربة

وعيناك تلمعان
ياتنين الضفادع
بلمعة إنسانية
و(جوندلات) الأفكار
بلا مجاديف
تمخر المياه العكرة
لحدقتيك المحترقتين)

لعلك تأتي للبحث
عن أنثاك الجميلة
خضراء مثل حقول شهر مايو
مثل ضفائر المنابع النائمة
تلك التي احتقرتك
وهجرت حقلك ؟
آه أيها المغازل العذب
الممزق فوق الأثل الطري

ولكنك تعيش

يالك من شيطان
إني أستلطفك
إن عبارة
(إني أقاوم الثعبان)
تنتصر فوق ذقنك
الذي يشبه ذقن الأسقف المسيحي
لقد غربت الشمس
فوق قمة الجبل
والقطعان
تملأ الطريق
وقد حانت ساعة رحيلك فلتترك الدرب الضيق
ولا تتابع تأملك
فلديك كل الوقت
للنظر إلى النجوم
حين تأكلك الديدان.

بهدوء
عد إلى بيتك

تحت بلاد الزقزقة
إني اتمنى لك ليلة طيبة
أيها الورل الضخم المبجل.

الريف مهجور
والجبال مطفأة
والطريق خالية خاوية
ومن حين إلى آخر
يرفع صوت
في ظلال شجر الحور.

26 لوليو 1920

ساحة

العناكب
تجري فوق أوراق الغار.

الحدث
يعود فيصير ثلجا
والأعوام النائمة تجرؤ
على تسمير عجلات الخلود.

والهدوء الذي صار أبا الهول
يسخر من الموت الذي يغني حزينا
بين أحراش الشرايين البعيدة

وعلّيقة القطرات
تنشر بساطها على الجدران
المنتفخة بأناشيد التوبة القديمة

آه، أيها البرج التليد
لتسكب دموعك العربية
في هذه الساحة القاتمة
الخالية من النافورة

إن العناكب تجري فوق أوراق الغار

1920

رقصة الميدان الصغير

يغني الأطفال
في الليلة الهادئة
جدول صاف
ونبع هادیء

(الأطفال)

ماذا يوجد بقلبك المقدس البهيج

(أنا)

رنين أجراس
ضائع في الضباب

(الأطفال)

ها هو يتركنا نغني
في الميدان الصغير
جدول صاف
ونبع هادىء
ماذا يوجد بيديك من الربيع

(أنـــا)

وردة دامية
وزنبق

(الأطفال)

اغطسهما في ماء الأغنية العتيقة
جدول صاف

ونبع هادىء
ماذا يوجد في فمك الأحمر الظامىء

(أنا)

طعم عظام جمجمتي

(الأطفال)

اشرب الماء الهادىء
للأغنية العتيقة
جدول صاف
ونبع هادىء
لماذا تبتعد عن الساعة الصغيرة ؟

(أنـا)

أذهب للبحث عن السحرة والأميرات

(الأطفال)

من الذي دلك على درب الشعراء

(أنا)

نبع الأغنية القديمة
وجدولها

(الأطفال)

إنك لتبعد وتمعن في البعد
عن البحر والأرض ؟

(أنـــا)

لقد امتلأ بالأضواء
قلبي الحريري

وبرنين الأجراس الضائعة
والزنبق والنحل
وسأذهب بعيدا جدا
إلى ما وراء تلك الجبال
ماوراء البحار
وقرب النجوم
لكي أطلب من المسيح السيد
أن يعيد قلبي ، قلب الطفل القديم
الذي أنضجته الأساطير
بقبعة الريش
والسيف الخشبي

(الأطفال)

ها هو يتركنا نغني
في الساحة القديمة
جدول صاف

ونبع هادىء
إن العيون الضخمة
للأوراق غير الجافة
التي جرحتها الريح
تبكي الساعات الميتة

1919

تقاطعات

يا له من ألم
أن تحاول القبض على الشعر
في غيبة العاطفة
وقد تلوث الدماغ كله بالحبر.

يالها من عذوبة
ألا يكون لك قميص السعادة الخيالي
والبشرة ـ بساط الشمس ـ برونزية

تطوف
حول بصري
أسراب من الحروف

آه ، يا له من ألم ، الألم الذي يصاحب الشعر منذ القدم
هذا الألم اللاّصق
لكم يختلف عن الماء النّي

يا ألم الشكوى
لكي نحتسي الإلهام الغنائي الخلاق
يا ألم النبع الأعمى
وألم الطاحون بلا طحين

يا له من ألم ألا يكون لك ألم
وتنفق الحياة
فوق العشب الخالي من الألوان
في الدرب المضطرب

أيها الألم العميق
يا ألم البهجة
أيها المحراث الذي يفتح الأخاديد
التي يثمر فيها البكاء

(من جبل ورقي
يبزغ القمر البارد)
يا ألم الحقيقة
يا ألم الكذب

لوليو 1920

ريــف

السماء رمادية
والأشجار بيضاء
وأكداس التبن المحترق
صارت فحما أسود
ولجرح الأوكاسيوس
دم جاف
وورقة الجبال الباهتة
تجعدت
وغبار الطريق
يختني في الوهاد
المنابع عكرة
والغدران هادئة
وفي اللون الرمادي الأرجواني

يقرع جلجل القطيع
والناعورة الأم
متممت تسبيحتها .
السماء رمادية
والأشجار بيضاء

1920

ساعة مرصعة بالنجوم

في صمت الليلة المستدير
على صفحة اللانهائي .

أخرج عاريا إلى الطريق
منتفخا بأبيات الشعر الضائعة
والظلام الحالك الذي تثقبه صيحات الديك
له تلك النار الزاهية
الميتة
للصوت
هذا النور الموسيقي
الذي يستوعب الروح

هياكل ألف فراشة

ترقد داخل سياجي

وثمة فتوة من الانسام المجنونة
فوق صفحة النهر

الطـريـق

أبدا
لا يمكن لرمحك
أن يجرح الأفق
فالجبل هو الدرع
الذي يدفع الضربات.

فلا تفكر في دم القمر
واسترح
ولكن أيتها الطريق
دعي قدميَّ
يعرفان ملاطفة الندى

يا قارىء الكف العملاق

هل تعرف الأرواح
ذات الوشم الباهت
الذي نسته مرسوما فوق ظهرك ؟
إذا كنت (فلا مريون) تتعقب
الأثار

فكيف يتسنى لك أن تحب الحمير
التي تلاطف بنعومة مرهفة
لحمك الجريح.
إنها هي فقط تستطيع أن
تتأمل وتبصر المدى الذي
يبلغه رمحك الكبير.
هي وحدها (الاله بوذا)
في المملكة الحيوانية
فعندما تشيخ وتجرح
يمكنها أن تقرأ كتابك
الخالي من الكلمات.

ما أكثر الكآبة
التي تشيع بين بيوت القرية
ما أعظم شجاعتك
تجر أربع عربات ناعسة
وصفصافتين
وبئرا عتيقة
خالية من الماء

تجوب العالم
فلن تجد منزلا يؤويك
ولا مقبرة تحضن رفاتك
ولا كفنا يلف جسدك
ولن تنعش ريح الحب
كيانك الطبيعي

ولكن لتخرج من الحقول
وفي المسافات المظلمة للأبدية
يمكنك

إذا طهرت الظلال
بالمبرد الأبيض
يمكنك أيتها الطريق
العبور فوق جسر القديسة كيارا

1920

أغنية شرقية

(1)

الرمانة المعطرة
سماء بلورية
(كل حبة نجمة
وكل غشاء غروب)
سماء جافة
كبستها أظافر السنين

والرمانة ، مثل نهد قديم
من الرق
خلقت حلمته بشكل نجمة
لكي تضيء الحقل

هي قفير نحل صغير
بعسل دام
صاغها النحل
من ثغور النساء
ولهذا فهي حين تنفلق
تضحك بأرجوان آلاف الشفاه

الرمانة قلب
يخفق فوق الأشياء المزروعة
قلب مترفع
لا تنقره الطيور
قلب
من خارجها قاس كقلب الإنسان
ولكنها تمنح لمن يشقها
عطر مايو ودمه
الرمانة
هي كنز عراف المرعى العجوز
ذاك الذي تحدث إلى الوردة الصغيرة

في الغاب المنعزل

صاحب اللحية البيضاء
والثوب الأحمر
الكنز الذي ما تزال تحتفظ به

الأوراق القديمة للشجرة
أقواس الأحجار الثمينة
في جوف الذهب الغامض

السنبلة هي الخبز
وهي المسيح المتجسد حيا وميتا

والزيتون خلاص
القوة والعمل
والتفاح هو فاكهة الشهوة
وغموض الخطيئة
وجرعة الأحقاب التي تحفظ العلاقة

مع الشيطان

والبرتقال هو حزن
الزهد المدنس
وهكذا يصبح نارا وذهبا
ما كان من قبل صفاء وبياضا
والنبيذ هو الفستق
الذي يتخثر في الصيف
وتستخرج منه الكنيسة
الشراب المقدس الذي تباركه

والقسطل من الأزمان العتيقة
تشقق الأخشاب القديمة
والحجاج التائهون

والبلوطة هي شعر العصور الماضية الهادىء
والسفرجل من الذهب الضعيف
هو نظافة الصحة

ولكن الرمانة هي الدم ،
دم السماء المقدس
دم الأرض المسفوك بإبرة السيل
دم الريح التي تأتي مخدشة
من الجبال الوعرة
دم البحر الهادىء

دم البحيرة النائمة
الرمانة هي تاريخ ما قبل التاريخ
للدم الذي نحمله في
فكرة الدم المغلق في كريات قاسية
وحامضة لها شكل غامض
يشبه القلب والجمجمة

أيتها الرمانة المتفتحة
أنت لهيب فوق الشجرة
شقيقة فينوس من لحم ودم
ضحكة الحقل الذي تتجاذبه الرياض

تحيط بك الفراشات
وهي تظنك شمسا ثابتة
وتهرب منك الديدان
مخافة الاحتراق

ولأنك نور الحياة
وأنثى الفواكه
ونجمة الغاب الساطعة
والجدول العاشق
فقد تمنيت أن أكون مثلك
أيتها الفاكهة
شغفا هائما فوق مجالي الريف

1920

شجرة الحور العتيقة

يا شجرة الحور العتيقة.
لقد وقعت
في مرآة
المستنقع النائم.
وحنيت جبهتك
للغروب.
لم يكن الأعصار المجحوح
هو الذي قطع جذعك.
ولا فأس الحطاب الثقيلة
التي كانت تدرك
أنك ستبعثين حتماً من جديد

بل كانت روحك القوية

هي التي نادت الموت.
بعد أن رأتك
بلا أعشاش
منسية مهملة من شجر الحور الصغيرة
المتناثرة في المرج الفسيح.
هكذا ظامئة إلى الفكر
ورأسك الضخم المعمر
كان يصغى
وحيدا
إلى الأغاني البعيدة
تصدح بها أخواتك.
إنك تحفظين في كيانك
حمم الهوى،
وفي قلبك البذور التي لا مستقبل لها.
البذور الهائلة
التي تحمل عشقا بريئا
لشمس الغروب

يا لها من مرارة عميقة
أن تكون بطلة الغابات
بلا أغصان
في ذلك المشهد الريفي الجميل.
لن تكوني بعد اليوم مهدا للقمر
ولا الابتسامة الساحرة للنسيم
ولا عصا النجمة التي تمتطي
صهوة الجواد المجنّح.
لن يعود ربيع حياتك
ولن تري الزروع تزهر.
ستكونين عشا للضفادع والنمل.
وستكون جدائلك
من الحشائش.

وفي يوم من الأيام
وبحزن عميق
سيحمل التيار
لطفك الساحر.

يا شجرة الحور العتيقة
لقد وقعت
في مرآة
المستنقع النائم.
لقد رأيتك
تسقطين
عند الفجر.
وها أنا أكتب مرثاتك
التي هي مرثاتي.

1920

أنشودة ماء البحر

البحر
يبتسم من بعيد
أسنان من الرغوة
وشفاه من السماء

ـ ماذا تبيعين أيتها الصبية الشاحبة
بنهدين معروضين للريح ؟
ـ إني أبيع يا سيدي ماء البحر
ـ وماذا لديك أيها الشاب الأسود
من شيء قد خالط دمك ؟
ـ يا سيدي ، لدي ماء البحار
ـ وأنت أيتها الأم من أين تأتي هذه الدموع
المالحة ؟

ـ إنها تأتي أيها السيد ، من ماء البحار
ـ وأنت ، أيها القلب ، من أين تنشأ لديك
هذه المرارة العميقة؟
ـ من ماء البحار الأجاج

والبحر
يبتسم من بعيد.
أسنان من الرغوة
وشفاه من السماء

1920

أشجـار

أيتها الأشجار
هل أنت أسهم
سقطت من الزرقة ؟
من المحاربون القساة الذين رموا بك ؟
هل هي النجوم ؟
موسيقاك تنبعث من روح الطيور
من عيون الله
من الولع الكامل
أيتها الأشجار
هل ستتعرف جذورك
على قلبي في باطن الأرض ؟

1919

القمر والموت

للقمر أسنان من العاج
ما أشد حزنه وسيخوخته
الأنهار جافـة
والريف بلا اخضرار
والأشجار ذابلة
بلا أعشاش وبلا أوراق
والمرأة الموت مليئة بالتجاعيد
تمر بين منابت الصفصاف
بموكبها العبثي من الأوهام
القديمة .
تبيع ألوانا من الشمع والعاصفة
مثل حورية أسطورية
شريرة وخداعة.

لقد اشترى القمر
لوحات من الموت
وفي هذه الليلة المظلمة
فإن القمر قد جُنَّ
وفي قلبي الكئيب

أفتح
بأكواخ الظلال
معرضا بلا موسيقى

1919

غـزلـية

لقد نظرت في عينيك
حين كنت طفلا طيبا
لقد لمستني يداك
ومنحتني قبلة

الساعات لها الايقاع نفسه
والليالي لها النجوم نفسها

لقد تفتح قلبي
كما تتفتح الزهرة تحت السماء
وبتلات الفستق
وخيوط الحلم

الساعات لها الايقاع نفسه
والليالي لها النجوم نفسها

يبكي في غرفتي

مثل أمير الخرافة
الذي بكى من أجل استرليتا الذهبية
التي هجرت ساحة المصارعة

للساعات الايقاع نفسه
والليالي لها النجوم نفسها

لقد ابتعدت عنك
أنت التي كنت تهويني في الخفاء
فلا أعرف كيف كانت عيناك
ويداك وشعرك
ولكن بقيت فوق جبيني فقط
فراشة القبلة

للساعات الايقاع نفسه
والليالي لها النجوم نفسها

1919

موسيقى متقطعة

لقد هشم
انسجام الليل
تاج الهلال ، البارد الناعس

والسواقي الصماء تحتج
مكتسية بالأسل
والضفادع ، (مؤذن) الظل
قد سكتت

وفي حانة البلد القديمة
إنتهت الموسيقى الحزينة
والنجمة العريقة
قد وضعت المسكت فوق أرغونها

وجلست الريح
فوق وديان الجبال المظلمة
وشجرة حور منفردة
ـ فيتاغورس السهل الطاهر ـ
تريد أن تسدد بيدها المعمِّرة
صفعة إلى القمر

1920

رغبة

قلبك الملتهب
ولا شيء غيره .

فردوسي حقل
بلا عندليب
ولا قيثار .
نهره قصير
ونبعه صغير .

بلا هبوب الرياح
على الضفة .
وبلا نجمة ترغب
في أن تكون ورقة .

نور عظيم
كان قنديلا
لنور آخر
في حقل
من النظرات الضائعة
سِلم صافية
حيث قبلاتنا
تنفتح بعيدا
في أصوات الصدى

قلبك الملتهب
ولا شيء غيره .

1920

أشجار الحور الفضية

أشجار الحور الفضية
تميل على الماء
وتعرف كل شيء.
وزنبق النبع
لا يصرخ بحزنه .
كلّها أكثر كبرياء من البشر

إن علم الصمت
أمام السماء المرصعة
لا تملكه سوى الزهور والحشرات .
وعلم الغناء من أجل الغناء
لا تملكه سوى الغابات الهامسة
ومياه البحر .

إن صمت الحياة العميق
فوق الأرض
تعلمه لنا الوردة المتفتحة
فوق أغصانها .

علينا أن نشيع العطر
المغلق في أرواحنا .
علينا أن نكون أغنية
من النور والطيبة .
علينا أن ننفتح كليا
أمام الليل الأسود
حتّى نمتلىء بالندى الخالد.

وعلينا أن نرقد الجسد
في أحضان الروح القلقة .
وعلينا أن نعمي البصر
بأنوار ما وراء الحياة
في ظلال القلوب .

وأن ننتزع النجوم الّتي أعطاها الشيطان .

علينا أن نكون كالشجرة الّتي تصلي دوما .
وكمياه النهر الّتي تحدق إلى الخلود .
علينا أن نمزق الروح
بمخالب الحزن
حتّى يدخل لهيب
الأفق الكوكبي .

وعندئذ ، وفي ظلال القلب المتسوس
تولد ينابيع ألوان الفجر
في هدوء وأمومة .
وتختفي مدن مع الريح .
ونرى الله
يمر فوق سحابة .

1919

سنابل

في القمح دخل الموت .
والمناجل تحصد السنابل .
وتمايل شجر الحور متحدثة
إلى روح النسيم الرقيقة .

القمح وحده يرغب الصمت
إنه يتخثر بالشمس ويتنهد
في العنصر الرحب
حيث تظل الأحلام يقظى
والنهار
الناضج بالنور والصوت ،
يغرب فوق الجبال الزرقاء

أي فكر غريب يحرك السنابل ؟
وأي إيقاع من الحزن الحالم
يحرك البيادر ؟

إن السنابل تبدو كالعصافير التي شاخت
ولم تعد قادرة على الطيران .
رؤوس صغيرة
ذات دماغ من الذهب الصافي
وتعبير هادىء .

كلها تفكر في الشيء نفسه .
كلها تتوفر على سر تتأمل فيه .
وتنتزع من الأرض ذهبها الحي .
ومثل نحل الشمس العذب
تلعق الشعاع اللاهب
الذي تكتسي به
لكي تشكل روح الدقيق .

آه يا له من حزن بهيج
هذا الذي تمنحينني إياه
أيتها السنابل الحلوة
تأتين من أصول بعيدة العهد
وقد تغنى بك من قبل كتاب التوراة .
وحين يلمسك الصمت تعطين
جوقا من القيثارات .

أنت تتدفقين لتغذية الناس .
ولكن انظري أزهار الدفلة
البيضاء والزنبق
التي تنبت دون غاية .
يا موميات الذهب فوق الأرياف .
إن الزهر البري ينبت من أجل الحلم
وأنت من أجل الحياة .

1919

تأملات تحت المطـر

المطر قبّل البستان البلدي
بإيقاعات عميقة فوق الأوراق.
وعطر الأرض المبللة الوديع
يغمر القلب بأحزان قديمة .

وتتبعثر غيوم رمادية في الأفق الأخرس .
وفي مياه النبع النائمة
تسقط قطرات المطر
مثيرة لالىء رغوية صافية.
نيران حمقاء يطفئها ارتجاج الأمواج

عذاب المساء يلمس عذابي
ويمتلىء البستان بلطف رتيب

أينبغي على ياربّاه أن أفقد كل أوجاعي
كما يفقد صوت الأوراق العذب ؟

وصدى جميع النجوم
الذي يتردد في قلبي
أيساعدني في الصراع ضد صورتي ؟
وهل الروح الحية تستيقظ في الموت ؟
وما نفكر فيه الآن سيبتلعه الظل ؟

آه ، لكم هو هادىء البستان تحت المطر
لقد تحول قلبي بالمشهد النقي الصافي
إلى نشيج من الأفكار البسيطة الحزينة
تمنح صدري خفقان الحمائم .

وتبزغ الشمس
والبستان يسكب دما أصفر
وحولي ،
عذاب خانق

وأشعر بحنين إلى طفولتي القلقة
والرغبة في أن أكون عظيما في الحب
وإلى الساعات التي أمضيتها في تأمل المطر
بحزن مثل حزن هذه الساعة .

قلنسوة حمراء تمشي في الدرب
وداعا يا أساطيري .
في هذا اليوم ، أقف متأملا
مضطربا أمام النبع العكر
الذي يولده الحب في أغواري
أينبغي علي يا رباه أن أفقد
أوجاعي كما يفقد ضجيج الأوراق العذب
ويعود المطر إلى الهطول
وتعاود الريح جر الظلال . .

3 يناير 1919

ابتهال إلى شجر الغار

في الأفق المضطرب المتوجع
يهبط الليل مليئا بالنجوم
وأنا مثل ساحر الأساطير الملتحي
أعرف لغة الزهور والصخور .

أعرف أسرارا من الكآبة
تفضي بها أشجار الحور
ونبات النار وشجر اللبلاب
وعرفت الأحلام التي تفشيها
سنابل الطيب (الناردين)
وغنيت مع الزنابق أغنيات هادئة
في الغابة القديمة العامرة بالظلال
كلّها أظهرت لي أرواحها :

الصنوبر المنتشي بالعطر والنغم
وأشجار الزيتون العتيقة المثقلة بالمعرفة
وأشجار الحور الميتة
وأعشاش النمل
والطحلب
وثلج زهور البنفسج البيضاء .

كلّها كانت تتحدث بعذوبة إلى قلبي
وهي ترتجف في خيوط من الحرير الرنان
التي تشد المياه بها كل الأشياء
الثابتة كأنها نسيج عنكبوتي
من الانسجام الخالد

الورود تحلم بالقيثار
وأشجار الصفصاف تنسج ذهب الأساطير
وبين الحزن الفحولي لشجر البلوط
يقص العرعر مخاوف البلد .

إني أعرف كل هوى الغاب
إيقاع الورقة ، إيقاع النجمة
ولكن قولي لي يا شجرات الأرز
إذا كان قلبي سينام بين ذراعي النور الكامل

إن أعرف القيثار التي تقدمينها
أيتها الوردة
لقد صنعت أوتارها من حياتي الميتة .
قولي لي في أي غدير سأتخلى عنها
كما يتخلى المرء عن العواطف القديمة .

إني أعرف أسرار الغناء
أيها السرو .
إني أخوك في الليل والألم
إن أحشاءنا مليئة بالأعشاش
أنت بأعشاش الطيور
وأنا بأعشاش الحزن

إني أعرف سحرك الذي لا حد له
أيها الزيتون الأب
في عطائك للدم الذي تستخرجه من الأرض
إني شبهك
أستخرج بمشاعري
زيت الفكرة المبارك.

أنتن تحزنني جميعا بأغانيكن
أنا الوحيد الذي أسال
عن شكوكي .
لا أحد منكن يرغب في اخماد
قلق هذه النار
التي تحرق صدري .

آه أيها الغار المقدس
صاحب الروح المنيعة
الصامت أبدا
العامر دوما بالنبل

اسكب في أذني قصتك المقدسة
وحكمتك العميقة الصادقة .

أنت الشجرة التي تمنح فواكه الصمت
ومعلم القبلات وساحر الجوقة الموسيقية
المشكل على هيئة جسد (دفنة) الوردي
ونسغ أبوللو الجبار يجري في عروقك

يا كبير كهان المعرفة القديمة
أيها الصامت الوقور المحجوب عن التنهدات
إن جميع أخواتك في الغاب
تتحدث إلى
أنت وحدك
في قسوتك
تحتقر أغنيتي

لعلك ، يا معلم الايقاع
تتأمل بطلان البكاء الحزين للشاعر

لعل أوراقك
التي بقعها القمر
ستفقد وهم الربيع.

إن عذوبة الغروب الناعمة الرقيقة
التي تشبه الندى الأسود.
توشح الدرب.
رافعة سرادقا ضخما
لاستقبال الليل الذي يزحف رصينا مهيبا
عامرا بالنجوم.

1919

نبـــع

الظل يرقد في المرج
والينابيع تغني .
وأمام منظر الغروب الخريفي الرحيب
يحلم قلبي .
من الذي يقدر على فهم الينابيع
وأسرار الماء الوليد ؟
ذلك الغناء الخافي
عن كل نظرات الروح
هذا النغم العذب
هل هو أبعد من حدود النفوس ؟

مصارعا تحت ثقل الظل
يغني نبع .

وأقترب لسماع غنائه
ولكن قلبي لم يسمع شيئا .

كان تدفقا من النجوم الخفية
فوق العشب النقي .
ميلاد (كلمة) الأرض
من جنس طاهر .

وشجرتي المعمرة ، شجرة الحور بالمرج
تحرك أوراقها .
وكانت أوراقا ترتجف بأنوار الغروب
مثل النجوم الفضية
سماء صيفية
كانت شجرة الحور العظيمة
هادئة ، مليئة بالأضواء والظلال .
أسمعها ، أغنيات الماء
أي حروف من أضواء الفجر
صاغت كلماتها الغامضة ؟

وأي شفاه تنطق بها ؟
وماذا عساها تقول للنجمة البعيدة ؟
يا الهي
إن قلبي لخبيث
وأحس في جسدي بمواقد
الخطيئة العاتية ..
وبحاري الداخلية بلا شواطىء
ومنارتك قد انطفأت
ولم يعد ينيرها سوى لهيب قلبي
ولكن سر الليل الأسود
وسر الماء
أهما خافيان على عين الضمير
البشري فحسب ؟
وضباب السر ألا يحرك
الشجرة والحشرة ، والجبال ؟
ورعب الظلال ألا تشعر به
الصخور والأشجار ؟
وهل صوتي مجرد صوت مستوحد متفرد ؟

وهذا النبع الصافي ألا يقول شيئاً ؟
ولكني أشعر
أن في الماء شيئاً يحركني
مثل الهواء ، شيئاً يحرك أغصان
روحي .
(وقال صوت بعيد :)
كن شجرة .
وتدفق سيل من النجوم
فوق سماء صافية.
وَتَدَاخَلْتُ في شجرة الحور العتيقة
بقلقي وحزني .
مثل (دفنا) الذكريات التي تهرب خائفة
من أبوللو الظلال والحنين .
واندمجت روحي مع الأوراق
وصار دمي عصارة نباتية شفافة
وتحول نبع دموعي إلى صمغ ذهبي
وهبط القلب إلى الجذور
والعواطف البشرية

جرحت لحمي الخشن
وتخلت عني .

وأمام مشهد الغروب الشتائي
كنت ألوي أغصاني وأعوجها
مستمتعا بالايقاعات المجهولة
بين هبات النسيم البادرة

وأحسست فوق ذراعي بالأعشاش اللطيفة
وملاطفات الأجنحة .
وأحسست بألف نحلة برية
تدندن بين أصابعي .
وفي أحشائي القديمة
قفير نحل ذهبي .
وأنمحى المشهد والأرض أمامي
ولم تبق سوى السماء .
وأصغيت إلى ضجيج الكواكب الخافت
وأنفاس الجبال .

ألا يمكن لأوراقي الحلوة
أن تفهم سر الماء ؟
وجذوري أيكتب لها أن تلمس
المملكة التي يولد فيها ويتحدد ؟
ولويت غصوني نحو السماء التي تكررها الأمواج ،
وغمست أوراقي في الزرقة
الماسية البلورية التي كانت تغني ،
وسمعت الينابيع تترقرق
كما يمكن لبشري مثلي أن يسمع
إنه التدفق نفسه
المليء بالموسيقى والمعرفة المجهولة .

ورفعت ذراعي العملاقتين
أمام الزرقة .
كنت مليئا بالضباب الكثيف
والندى والأضواء الخامدة .

وتملكني الحزن النابض العظيم

والرغبة في أجنحة .
لكي ألقي بنفسي إلى الريح
حتّى أبلغ النجوم البيضاء .
ولكن قلبي المغروس في الجذور
همس حزينا بقوله :
إذا لم تعرف الينابيع
فعليك أن تموت وتكسر أغصانك

يا الهي
انتزعني من الحضيض
ولتصغ إلي
حتّى تفهم المياه .
اعطني صوتا يمكنه بالحب
أن ينتزع السر من الأمواج الذاهلة .
ولكي أوقد منارتك
فإني لا أطلب سوى زيت الكلمات
(كن عصفورا)
قال ذلك صوت ضائع

في المسافة الميتة .
وسيل من النجوم المتوقدة
تدفق من صدر الليل .

(1919)

البحر

البحر
هو ملاك الزرقة
السماء التي وقعت
برغبتها في أن تكون نورا

يالك من مسكين أيها البحر
المحكوم عليه بالحركة الأبدية
بعد أن عرفت
هدوء القبة الزرقاء .

ولكن من مرارتك
تستخلص الحب .
لقد ولدتَ فينوس الطاهرة
وظلت أعماقك

عذراء بلا وجع.

إن أحزانك جميلة
يا بحر اللوعات الجيدة

ولكنك اليوم تملك
أخطبوطات خضراء
بدلا من النجوم .

تَحَمَلْ ألمك
وتجلد أيها الشيطان الرهيب .
لقد مشى المسيح
فوق أمواجك
وكذلك الإله (بان) .

إن نجمة الزهرة
هي انسجام الكون
فلتصمت الأكليروسية .
وفينوس هي عمق الروح .

والإنسان البائس
ملاك عظيم ساقط .
والأرض
هي احتمال الفردوس المفقود .

عش

ما الذي أصونه
في لحظات الحزن هذه ؟
آه ، من الذي يقطع غاباتي
المذهبة الزاهرة ؟
وما الذي أقرا في صفحة
المرآة الفضية المرتعشة
التي يقدمها إلي الفجر ،
فوق مياه النهر؟
أي شجرة دردار عظيمة
من الافكار
تتكسر في غابتي ؟
أي سيل دافق من المطر
هذا الذي يرجفني ؟
إذا كنت قد تركت حبي ميتا

فوق الضفة الحزينة
فماذا تحكي منابت العليق
من أشياء وليدة ؟

1919

حلـــم

كنت أرحل
على ظهر عتود
وتحدث إلي جديٌّ
قائـلا :
تلك هي طريقك
وصرخ ظلي المتنكر في أسمال متسول
أتلك هي ؟
وقالت ملابسي
تلك الطريق الذهبية
وأشارت إليّ بجعة عملاقة :
تعال معي
وإذا بحية تعض
عباءة الحاج التي كنت أرتديها

وتأملت السماء مفكرا .
أنا ليس لي طريق
وزهور النهاية
ستكون مثل زهور البداية .
وإلى ضباب
سيتحول جسدي والندى .
وسيحملني جوادي الاسطورى
فوق حقل وردي .
وتوسل إلى قلبي باكيا
دعني .
وتخليت عنه فوق الارض
منتفخا بالحزن .
وجاء الليل
مليئا بالتجاعيد والظلال .
وكانت تضيء طريقي
عينا عتودي
المتوقدتان الزرقاوان .

1919

حلم آخر

حسون يطير
بعيدا
يزدهر الندى
فوق حلمي ،
وقلبي يدور
مليئا بالسأم
مثل الدوامة
التي يحمل الموت فوقها أطفاله
لكم أود أن أشد الزمن
إلي هذه الأشجار ،
بحبل من الليل الأسود .
وأصبغ بدمي
ضفاف الذكريات الشاحبة .

كم للموت من أبناء ؟
إنهم جميعا في صدري .
وحسون يأتي
من الأقاصي البعيدة .

1919

شجرة البلوط

تحت ظلالك العفيفة
يا شجرة البلوط العتيقة
أريد أن أسبر نبع حياتي
وأنتزع من وحل ظلالي
الغنائيات الزمردية..
إني ألقي بشباكي
في المياه العكرة
وأسحبها فارغة .
وفي عمق الوحل القاتم
تكمن جواهري.
لتدسي في قلبي
أغصانك المقدسة .
يا شجرة البلوط المتوحدة

ودعي في روحي
أسرارك وعواطفك الهادئة .

هذا الحزن الشبابي
سوف يمضي ، إني أعرف ذلك .
وأن الفرحة سوف تترك مرة أخرى اكليلها
فوق جبيني الجريح ،
حتّى ولو كانت شباكي
لن تصيد أبدا
الجوهرة الخفية ،
للحزن الغامض الذي يشع
في أعماق حياتي .
ولكن ألمي العظيم المتعالي
هو ألمك .
يا شجرة البلوط .
وهو ألم النجوم نفسه .
وألم الزهور الذابلة نفسه .
الدموع تنحدر فوق الأرض
ومثل قطرات عصارتك ،

تجرى فوق مياه النهر
الذي يسقط في الليلة الباردة
وسنسقط نحن أيضا .
أنا سأسقط بأفراحي
وأنت بامتلاء الأغصان .
بالأثمار الجافة الغيبية اللامنظورة
لا تتركيني أبدا إلى أحزاني
أيتها الصديقة النحيلة، غني بفمك الطاهر
أغنية قديمة .
بكلمات أرضية متداخلة
مع النغم الأزرق .
إني ألقي مرة أخرى
في نبع حياتي
شباكا مصنوعة من خيوط الأمل ،
وعقد الشعر ،
فأمسك بلالىء زائفة
من وحل العواطف الراكدة .
ومع شمس الخريف

ترتعش جميع مياه نبعي ،
وأرى شجرة البلوط
بلا جذور
تهرب مني

1919

إيقاع خريفي

يامرارة المشهد الريفي المذهّب
إن القلب يصغى إليك .
وفي الحزن الندي
قالت الريح :
لقد صنعت من نجوم منصهرة
دم اللانهائي .
وباحتكاكي أكتشف ألوان
الأعماق النائمة .
لقد جرحتني نظرات متصوفة .
وأحمل التنهدات
في فقاعات الدم اللامنظور
نحو النصر الهادىء
للحب الخالد العامر بالليل .

يعرفني الأطفال
ومع ذلك أظل حزينة .
وفي خرافات الملكات
والقلاع أبدو كأسا من النور
نجمة من الأغاني المنصهرة
التي تتساقط مغلفة
في زرقة شفافة من الايقاع .
وفي نفسي
ضاع جسد المسيح وروحه .
وأكرر حزن المساء .
حزينة وباردة
الغاب الكثيف الذي لا يحصي

أحمل زوارق الحلم
نحو المجهول .
وفي نفسي مرارة التفرد
بعدم معرفة نهايتي ولا قدري .

كانت كلمات الريح عذبة
لها عمق الزنابق .
وأغنى قلبي
في حزن الغروب .

وفي أرض السهوب الرمادية
كانت الديدان تروي هذيانها

نحن نتحمل الأحزان
على قارعة الطريق .
نعرف أزهار الغابات
ونشيد الجداجد الرتيب ،
والقيثار بلا أوتار الذي نلمسه ،
والدرب الخفي الذي نتبعه ،
وطموحنا المثالي الذي لا يبلغ النجوم
بسيط وهادىء
نريد أن نصنع عسلا مثل النحل
أو أن يكون لنا صوت عذب ،

أو صرخة قوية ،
أو نمشي بخفة فوق العشب
أو أن تكون لنا أثداء لنرضع أولادنا .

سعيد ذلك الذي يولد فراشة
ويحمل النور القمري في لباسه .
سعيد ذلك الذي يجثث الوردة
فيجمع القمح
سعيد ذلك الذي يشك في الموت ،
سيد الفردوس .
والريح التي ترحل أنى شاءت
مطمئنة إلى اللانهائي .
سعداء أولئك الظافرون والأقوياء
أولئك الذين لم يكونوا أبدا
في موضع الإشفاق عليهم أو الرثاء لهم .
أولئك الذين باركهم باسما
الأخ القديس فرانشسكو .
إننا نقاسي مشقات كثيرة

في سيرنا .
ونريد أن نعرف ما تقوله
شجرات الحور عند النهر .
وفي صمت المساء الحزين
أجابها غبار الطريق :
سعيدة ، أنت أيتها الديدان
بما توفر لك من معرفة سليمة
بنفسك
وصيغ ومشاعر
ومدافيء متقدة.

أما أنا فتحللني الشمس
وأتبع المسافر .
وحين أفكر في البقاء في الضوء
أسقط نائما فوق الأرض .

فبكت الديدان
وحركت الأشجار رؤوسها المفكرة

وقالت :
إن بلوغ الزرقة مستحيل .
ظننا أننا سنلمسها حين كنا صغارا .
وأردنا أن نكون كالنسور
والآن وقد صعقتنا الصاعقة .
اقتنعنا بأن الزرقة من حق النسور
ولكن النسر ، من بعيد
هتف قائلا : ليست لي . ليست لي
لأن الزرقة للنجوم
في روعة لمعانها وبريقها
وقالت النجوم :
ولا نحن أيضا نملك الزرقة
إنها مختفية بيننا .
وقالت المسافة السوداء
أن الزرقة قد حبست الأمل في
أسوارها .
وقال الأمل : بلطف ، من داخل
مملكته

ـ لقد اخترعتيني أنت أيتها القلوب
وقالت القلب : يا إلهي

إن الخريف ترك أشجار الحور
عند النهر ، بلا أوراق
والماء أرقد غبار الطريق
رقدة الفضة القديمة .
والديدان سقطت ناعسة
في مدافئها الباردة .
وضاع النسر بين الجبال .
وقالت الريح :
إني إيقاع خالد .
وسمعت ترنيمات المهود الفقيرة
وبكاء القطيع في الحظيرة .

إن حزن الأفق الندى
يبدي كالزنبق
التجاعيد القاسية التي تتركها

عيون الأحقاب الغارقة في التفكير

وبينما كانت النجوم تستريح
فوق الزرقة النائمة .
رأى قلبي مثاله البعيد ،
وسأل :
يا إلهي
ولكن لمن تقول يا إلهي ؟
ومن هو إلهي هذا ؟
لماذا تنام آمالنا
ونجرب الإحباط الغنائي
وتغمض العينان وهما تعانقان
الزرقة كلّها ؟
فوق المشهد الريفي ، والمدفآة المدخنة
أريد أن ألقي بصرختي
من نفسي ، كالدودة
التي تأسف لقدرها .وتلتمس قدر الإنسان . وحبا هائلا ،
وزرقة كزرقة أشجار الحور عند النهر .

زرقة القلوب والقوة
زرقتي أنا نفسي
التي تضع في يدي
المفتاح العظيم ،
الذي يقتحم اللانهائي
بلا رعب من الموت أو خوف منه
مندّى بالحب والغنائية
رغم أن البرق يجرحني كما يجرح الشجرة
ويتركنا بلا أوراق ولا صراخ .

والآن
لدى فوق جبيني ورود بيضاء
وكأسي مترعة بالنبيذ

1920

ليليـــة

في نفسي خوف شديد
من الأوراق الميتة .
والخوف من المروج
المنتفخة بالندى .
سأذهب للنوم
فإذا لم توقظيني
فإني سوف أترك إلى جانبك
قلبي البارد .

ما هذا الذي يرن من بعيد ؟
يا حبيبتي إنه صفير الريح
فوق النوافذ الزجاجية
يا حبيبتي .

أنت تعقدين القلائد
بجواهر الفجر
فلماذا تتركينني فوق هذا الدرب ؟
إذا ابتعدت عني كثيرا
فإن عصفوري سوف يبكي
وحقل الكروم الخضراء
لن يعطي نبيذا

ما هذا الذي يرن بعيدا
يا حبيبتي إنه صفير الريح فوق
النوافذ الزجاجية
يا حبيبتي .

يا أبا الهول الثلجي البارد
لن تعرفي أبدا
كم أجببتك
في تلك الإصباحات الباكرة
حين كانت تمطر طويلا

فوق الغصن الجاف
وتتلف العش .

ما هذا الذي يرن بعيدا
يا حبيبتي
إنه صفير الريح فوق النوافذ
الزجاجية يا حبيبتي

1919

العـتـود

قطيع الماعز
مر قرب مياه النهر
في أمسية من الورد والزمرد
عامرة بالسكينة الرومانتكية
وأبصر
العتود

سلاما ، أيها الشيطان الصامت
أنت أعمق الحيوانات .
والمتصوف الخالد
في جحيم الشهوة الجسدية

كم من عجائب

في عثنونك
وفي جبهتك العريضة
أيها الدون جوان الجلف
أي نبرة حادة في نظرتك
الشيطانية
الشهوانية
تجوب المراعي
بقطعانك
كأنك خصي
بينما أنت سلطان
وظمأك الجنسي
لا يخمد أواره
أحسنت تعلمه وأخذه
عن الاله (بان)
والمعزة
تتبعك في بطء
عاشقة في تواضع
ولكن شهواتك لا تشبع

واليونان القديمة وحدها
تفهمك

آه مخلوق
الأساطير المقدسة العميقة
من النساك المهزولين والشياطين
الصخور سوداء ، وصلبان مكسورة
وبوحوش مروضة وكهوف عميقة
حيث كانت تراك في الظل
تنفخ لهيب الجنس وتذكيه

أيتها التيوس المقرنة
واللحي الكثة القوية
أيتها الخلاصة السوداء للعصور والوسطى
لقد ولدت قرب (فيلوميدي)
في موجة البحر الطاهرة
وأفواهكن
تلاطفها
في دهشة الكون الكوكبي

تأتين من الغابات المليئة بالورود
حيث النور اعصار
تأتين من مروج (أنا كرونت)
المليئة بالدم الخالد

أيتها التيوس
أنت أمساخ
الهجاءات القديمة
التي زالت الآن
أنت تنشرين فسقا عذريا
بما لا يقدر عليه أي حيوان آخر
وفي سطوع منتصف النهار
تتوقفين
لكي تصغي إلى
ما يقوله لك الديك
من أعماق الريف :
ســلامــا

1919

أغنيـة أخرى

لقد تبدد الحلم إلى الأبد
وفي ذلك المساء الممطر
يتعلم قلبي ،
مـأساة الخريف الذي يتساقط
من الشجر

وفي ذلك الحزن اللذيذ
للمشهد الطبيعي الذي يحتضر
تنكسر أصواتي

لقد تبدد الحلم إلى الأبد
إلى الأبد ، يا إلهي
يسقط الثلج
فوق ريف حياتي المهجور
ويخشى الوهم

الذي يتباعد
أن يضيع
أن يتجمد
هكذا يقول لي الماء :
إن الحلم قد تبدد إلى الأبد
هل الحلم لانهائي ؟
إن الضباب يسند ذلك
والضباب
هو إعياء الثلج فقط

وإيقاعي يروى :
أن الحلم قد تبدد إلى الأبد
وفي المساء الضبابي
يعرف قلبي
المأساة الخريفية
التي تتساقط من الأشجار

خريف 1919

دِيوَان الأغاني العَمِيقَة

بالاد الأنهار الثلاثة

نهر الوادي الكبير
يجري بين أشجار الزيتون والبرتقال
ونهرا غرناطة
يهبطان من الثلج حتّى مروج القمح

آه أيها الحب الذي رحل ولم يعد

إن نهر الوادي الكبير
له لحية بلون العقيق
نهرا عزناطة
أحدهما من بكاء والآخر من دم

آ أيها الحب الذي رحل مع الريح

للزوارق الشراعية
تذّكر إشبيلية مسارًا
أما في مياه غرناطة
فلا تجدّف سوى التّنهدات

آه أيها الحب الذي رحل ولم يعد

وللوادي الكبير
برج عال
وريح تسري بين أشجار البرتقال الصغيرة
برجا داورو وجنيل الصغيران
ماتا فوق المياه الراكدة

آه أيها الحب الذي تبدد في الهواء

من الذي يجسر على القول بأن الماء
يحمل نارا مزدهية بالصرخات

آه أيها الحب الذي رحل ولم يعد
أيتها الأندلس

لتحملي زهر البرتقال ، وأغصان الزيتون
إلى بحارك

آه أيها الحب الذي ذهب مع الريح

مشـــهد

حقل
الزيتون
ينفتح وينضم
مثل المروحة.
وفوق حقل الزيتون
سماء مغمورة
ومطر قاتم
يهطل من الكواكب الباردة.
ويرتجف الأسل والظل
وعلى ضفة النهر
تتجعد الريح الشهباء.
وأشجار الزيتون
مثقلة

بالصيحات .
وسرب من الطيور الحَبِيسَة
تحرك أذيالا طويلة
في الظلام

القيثـارة

يبدأ
بكاء القيثارة.
تنكسر كؤوس الفجر.
يبدأ
بكاء القيثارة.
من المستحيل إسكاتها
من المستحيل
إسكاتها.
إنها تبكي برتابة
كما يبكي الماء
كما تبكي الريح
فوق الجليد.
من المستحيل إسكاتها

إنها تبكي
أشياء بعيدة .
رمال قيظ الجنوب
التي تلتمس أزهار الكاميليا البيضاء .
تبكي سَهماً بلا هدف
والمساء الذي لا غد له
والعصفور الأول الذي مات
فوق الغصن .
أيتها القيثارة
أنت القلب الذي طعنته
خمسة سيوف .

الصــرخة

صدى الصرخة
يرحل من جبل
إلى جبل

ومن أشجار الزيتون
سيتكون قوس قزح أسود
على صفحة الليلة الزرقاء

مثل قوس من البنفسج
أرعشت الصرخة
أوتار الريح الطويلة

آه

(سكان الكهوف
يعرضون قناديلهم)

آه

الصمت

اسمع يا بنيّ الصمت
إنه صمت متموّج
صمت
تنزلق فيه الوديان والأصداء
ويحني الجباه
نحو الأرض.

عبور السيجوريا

بين ثلاث فراشات سوداء
فتاة سمراء
تمشي
ويمشي معها ثعبان أبيض من الضباب

(أرض النور
سماء الأرض)
تمشي مقيدة
بارتجاف إيقاع
لا ينتهي أبدا.
لها قلب فضي
وبيمناها خنجر.

إلى أين تذهبين

أيتها السجوريا
بإيقاع لا رأس له ؟
أي قمر
يستقبل ألمك
ألم الصخرة أو زهر الدفلة ؟

(أرض النور
سماء الأرض)

(فقـرة موسيقية)

الأطفال يحدقون
في نقطة بعيدة .

والفوانيس تنطفىء .
وصبايا كفيفات
يسألن القمر ،
ويرفعن في الجو
دوّامات البكاء.

والجبال تحدِّق
في نقطة بعيدة .

وبعـــد

المتاهات
التي خلفها الزمن
ستتبدد .

(ولا تبقى سوى الصحراء)

والقلب
منبع الرغبات
سيتلاشى .

(ولا تبقى
سوى الصحراء)

وخداع الفجر
سيزول
والقبلات ستنمحي

ولا تبقى
سوى الصحراء
الصحراء المتموجة بكثبانها .

قصيدة السوليا

أرض جافة
أرض هادئة
ولياليها هائلة .

(ريح في حقل الزيتون
وريح فوق الجبال) .

أرض
عتيقة
أرض الفانوس
والمعاناة .
أرض

الصهاريج العميقة .
أرض

الموت بلا عيون
ولا سهام .

(ريح في الطرقات
ونسيم في الشوارع)

بلـــد

فوق الجبل الأجرد
جلجلة .
مياه صافية
وزياتين معمّرة .
وعلى طول الدروب
رجال مُلَثَّمُون .
وفوق الأبراج
أعلام دوّارة
تدور إلى الأبد
آه ، أيها البلد الضائع
في أندلس النحيب

الخنجر

الخنجر
ينغرز في القلب
كما ينغرز قلب المحراث
في الأرض

لا ... لا تغرز فيّ خنجرك
لا

الخنجر
كشعاع الشمس
يحرق
الأعماق الرهيبة .

لا .. لا تغرز فيَّ خنجرك

شكـــوى

الصرخة تركت في الريح
ظلا من الشريين .

(دعوني أبكي في هذا الميدان) .

لقد تحطم كل شيء في الكون .
ولم يبق غير الصمت
(دعوني أبكي في هذا الميدان)

الأفق بلا نور
قد لسعته النيران الموقدة

(لقد قلت لكم من قبل
دعوني أبكي في هذا الميدان)

تقاطعـات

ريح شرقية :
وفانوس
وخنجر
في القلب
وللشارع
ارتجاف
الحبل
المشدود
ارتجاف
الذبابة الضخمة
ومن كل جهة
أنا
أرى الخنجر
مغروزا في القلب

مفاجـآة

ميتا ظل منطرحا فوق الطريق
وخنجر مغمد في صدره .
لم يعرفه أحد .
كيف كان يرتجف المصباح
يا أماه !
كيف كان يرتجف
مصباح الطريق !
كان الفجر
ولم يكن في وسع أحد
أن ينحني فوق عينيه المفتوحتين
للنسيم العاري .
ميتا ظل منطرحا فوق الطريق
وخنجر مغمد في صدره
ولا أحد يعرفه .

السوليا

يالابسة الدثار الأسود .
فكري أن العالم صغير
والقلب كبير

يالابسة الدثار الأسود .

فكري أن التنهيدة الناعمة والصرخة
تتلاشيان في مجرى الريح .

يا لابسة الدثار الأسود .

لقد تركت شرفتي مفتوحة

وعند الفجر دخلت السماء كلّها
من الشرفة .

يا لابسة الدثار الأسود

كهف

من الكهف
تخرج تنهدات طويلة
(الأرجواني
فوق الأحمر)

والغجرى يسترجع
بلدانا غابرة .

(أبراج عالية ورجال غامضون)

وفي الصوت المنكسر
ترحل عيناه .

الأسود
فوق الأحمر)

والكهف المبيض
يرتجف في الذهب .

والأبيض فوق الأسود)

لقــاء

لا أنا ولا أنت
مستعدان
للقاء
أنت .. للأسباب التي تعرفين
لقد أحببتها جدا !
تابعي تلك الطريق الصغيرة .
في يدي
ثقوب
المسامير .
ألا ترين
كيف أنزف دما ؟
لا تنظري أبدا إلى الوراء
وامضي على رسلك

وصلّي معي

للقديس سان غايتاتو

فلا أنا ولا أنتِ

مستعدان

للقاء

فجـر

ناقوس قرطبة
عند الفجر
النواقيس الصباحية
بغرناطة .
تصغي إليها الصبايا
اللواتي يبكين عضلات
السوليا الطرية المُسمّرة
صبايا الأندلس العليا
والسفلى
صبايا إسبانيا
ذوات الأقدام الصغيرة
والتنورات الخفاقة
التي تملأ مفترقات الطرق

بالأضواء

آه

يا أيتها النواقيس المبكرة
عند الفجر

آه

أيّتها النواقيس الصباحية
بغرناطة .

رماة النبال

رماة النبال السود
يقتربون من اشبيلية .

الوادي الكبير مفتوح

قبعات رمادية واسعة
ومعاطف طويلة مفتوحة .

آه الوادي الكبير

إنهم يأتون من بلدان
الألم النائية .

الوادي الكبير

ويرحلون إلى متاهة
حب و بلّور وصخر

آه الوادي الكبير

ليلـة

شمع وقنديل
ومصباح ضخم وحباحب
وكوكبة
من أغنيات السائيتا

نوافذ ذهبية
ترتجف في مطلع الفجر

وصلبان تترنح
من فوق
شمع وقنديل
ومصباح ضخم وحباحب

عبــور

عذراء سوليداد
عذراء التنورة الفخمة
مفتوحة
مثل زهرة التوليب الهائلة .
وأنت ترحلين في زروق أنوارك
نحو أعالي بحار المدينة
بين أغان غامضة
ونجوم من بلّور
يا عذراء التنورة الفخمة
ترحلين
فوق نهر الطريق
حتّى البحر .

اشبيلية

إشبيلية برج
عامر بذوي الأناقة
من رماة النبال

إشبيلية للجرح
وقرطبة للموت

إنها مدينة ترصد
الإيقاعات الطويلة
وتطويها كالمتاهات
مثل سروع الكرمة الملتهبة

إشبيلية للجرح

تحت قوس السماء
وفوق المرج الوضيء
ينطلق السهم الدائم
لنهرك

قرطبة للموت

وبجنون الأفق

يمزج في نبيذه
مرارة الدون جوان
وكمال الاله ديونيسوس

إشبيلية للجرح
دوما إشبيلية لكي تجرح

سهم

هذا المسيح الأسمر
يتحول
من زنبق يهوذا
إلى قرنفل أسبانيا

تأملوه من أين يأتي !

من أسبانيا
سماء متجهمة حالكة
وأرض محترقة
وجداول يجرى فيها
الماء بطيئا خاملا
مسيح أسمر

بغدائر محترقة
وعظمي الوجنتين بارزتين
وحدقتين ببضاوين

انظروا أين يرحل !

موكب

على طول الطريق
يمشي
وحيدو القرن غريبون
من أي حقل ؟
من أي دغل خرافي ؟
عن قرب
يبدون رجال فضاء
سحرة خيالين
مرلينين
معذبين مشخنين بالجراح
مثل دورانت المندهش

شــرفــة

لُولا
تغني السائتاس
ومصارعو الثيران
يطوقونها .
والحلاق
من عتبة دكانه يتابع إيقاعها
برأسه .
وبين النعنع والحبق
كانت لولا
تغني السائتاس .
لُولا
تلك التي تتأمل نفسها
في البركة.

فجر

مثل الحب
المغنون
عميان .

فوق الليلة الخضراء
تترك الأغنيات
أثر الزنبق الدافيء

وحيزوم القمر
يشق سحبا بنفسجية
والجعب تمتلىء بالندى .

آه مثل الحب
المغنون
عميان

نـاقوس

فوق برج
أصفر
ناقوس ينادي

وفي الريح
الصفراء
تنفتح الدقّات .

وفوق البرج
الأصفر
يسكت الناقوس

والريح تؤلف بالغبار، حيازيم فضية .

طريـق

مئة فارس بأثواب الحداد
إلى أين يرحلون ،
تحت السماء التي يطويها
حقل البرتقال ؟
لا إلى قرطبة ، ولا إلى غرناطة
التي تتنهد في بحرها
والخيول الناعسة
تحملهم إلى متاهة الصلبان
حيث ترتجف أغنية
بسبع آهات مُسمَّرة
إلى أين يرحل المئة فارس الأندلسيون
منطلقين من حقل البرتقال ؟

الأوتار الستة

القيثارة
تبكي الأحلام .
وغصات النفوس الضائعة
تهرب من فمها المستدير.
إنها مثل العنكبوت الضخم،
نسجت نجمة كبيرة
لكي تفاجيء التنهدات
التي ترتجف
في صهريجها الخشبي الأسود

رقصـة

في ليلة البستان
ست غجريات يرقصن
بملابس بيضاء.

في ليلة البستان
رؤوسهن متوّجة
بورود من ورق.

في ليلة البستان
أسنانهن من الصدف
تنقش الظل المحترق

في ليلة البستان

تطول ظلالهن
فتلمس السماء البنفسجية

وفاة البيتنيسرا

في المنزل الأبيض تموت
مهلكة الرجال
مئة فرس تركض
وفرسانها ماتوا
تحت نجوم القناديل
المرتجفة
تنورتها الموهير ترتجف
بين فخذي النحاس
مئة فرس تركض
وفرسانها ماتوا
ظلال طويلة نحيلة
تأتي من ظلال الأفق العكر
وحاشية القيثارة

تتهشم
مئة فرس تركض
وفرسانها ماتوا.

تنــويـع

آه ، أيتها البيتنيرا الغجرية
آه يا بيتنيرا.
جنازتك كانت خالية
من الصبايا الشريفات.
الصبايا الشريفات.
الصبايا اللواتي يهبن للمسيح الميت
غدائرهن .
ويلبسن أزرًا بيضاء
في المعارض
كانت جنازتك من أناس
منبوذين.
أناس قلوبها في رؤوسها.
تسير خلفك باكية

في الشوارع.
آه ، يا بيتنيرا الغجرية
آه يا بيتنيرا

من الأعمـاق

العشاق المئة
ينامون نوما أبديا
تحت الأرض الجافة.
وللأندلس
طرق طويلة حمراء.
وفي قرطبة
غابات زياتين خضراء.
حيث يمكنها أن تغرس
مئة صليب.
تُذكِّرُهم.
العشاق المئة
ينامون نوما أبديا

صخب

فوق الأبراج
الصفراء
دقات نواقيس.

وفوق الرياح
الصفراء
ترحل الدقات .

وعلى طول الطريق
يمضي الموت
متوجا بزهور برتقال ذابلة.
يغني ويغني
أغنية

على أوتار قيثارة بيضاء.
ويغني، يغني، يغني

فوق الأبراج الصفراء
تسكت النواقيس.

والريح تشكل من الغبار
حيازيم فضية

لـولا

تحت شجرة البرتقال
كانت تغسل لفائف قطنية .
عينان خضروان
وصوت أرجواني

آه يا حبيّ
تحت شجر البرتقال المزهر .

مياه الساقية
تجري مغمورة بضوء الشمس
وفي حقل الزيتون
عصفور يغني.

آه يا حبي
تحت شجر البرتقال المزهر!

وحين تنهي لولا
غسيلها
سيأتي مصارعو الثيران

آه يا حبي
تحت شجر البرتقال المزهر

أمبارو

أمبارو
لشد ما أنت وحيدة
في بيتك
ترتدين البياض.

(خط استواء أنت
بين الياسمين والناردين)

تصغين إلى الفسقيات
الرائعة في بهو البيت.
والتغريد الواهن الخافت
من عصفور الكنار.

وفي المساء ترين
أشجار الشربين ترتجف
بالطيور.
بينما أنت تطرزين
حروفا فوق قماشة التطريز.

أمبارو
لكم أنت وحيدة في البيت
مرتدية البياض
وما أصعب أن أقول لك
إنّي أحبك.

رسم سلفيريو فرانكونتي

نصف ايطالي
ونصف فلامنكو
أتدرون كيف كانت
روعة غناء سلفيريو ؟
عسل إيطاليا الكثيف
ممزوجا بليموننا ،
كان يجري في النحيب العميق
للسيجوريرو.
كانت صرخته رهيبة. يقول الشيوخ :
ينتفش منها شعر الرأس
وينفتح لها زئبق
المرايا.
ينتقل بين الايقاعات

دون أن يخرقها.
كان خالقا
كان بستانيا.
كان خالق
عرائش
للصمت.
والآن ترقد أنغامه
مع الأصداء
كاملة وصافيّة
مع آخر الأصداء !

خوان بريفا

خوان بريفا
كان له جسم عملاق
وصوت طفلة.
لا شيء يشبه شدوه
كان الغناءُ نفسه هو الذي يغني
خلف ابتسامة.
كان يدعو
أشجار الليمون
في مالقا النائمة.
وفي بكائه
أثر من ملح البحر.
ومثل هومير
غنّى وهو أعمى.

وفي صوته شيء
لا أدريه
من بحر بلا أضواء،
وبرتقال معصور

المقهى المغني

مصابيح بلورية
ومرايا خضراء
وفوق المنصة المظلمة
كانت (برّالا) تجري
محادثةً
مع الموت.
تدعوه
فلا يستجيب.
فتعود تكرر الدعوة
والمشاهدون
يشربون الغصّات.
وفي المرايا الخضر
أذيال حريرية طويلة
تماوج .

ذكـر

عندما أموت
ادفنوني وقيثارتي
تحت الحَلبة

عندما أموت
بين البرتقال والنعنع

عندما أموت
ادفنوني في راية الرياح
إذا رغبتم

عندما أموت

شكوى الموت

في السماء السوداء
حيتان صفراء

جئت إلى هذا العالم بصيرا
وأغادره أعمى.
يا إله الألم الأفدح
وبعد ذلك ، لا شيء
سوى شمعدان
وغطاء فوق الأرض.

أردتُ أن أصِلَ حيث يصل الطيبون
وقد وصلت.
يا إلهي

وبعد ذلك لا شيء
سوى شمعدان
وغطاء فوق الأرض

يمون أصفر
يا شجرة الليمون
لتلق يمونك إلى الريح
أنت تعرفين أيضا السبب،
أنه لا شيء بعد ذلك
سوى شمعدان
وغطاء فوق الأرض.

في السماء السوداء
حيتان صفراء

تضرع

اليد المنقبضة
مثل الاله مينوزا
تعمي عين القنديل
المتألمة

آص الهراوة
مقص متقاطع

فوق نهر البخور الأبيض
رائحة لا أدريها
فيها شيء من رائحة
الخلد والفراشة المرتعشة

ينقبض قلب خفي
أترونه ؟
قلب منعكس
في الريح

آص الهراوة
مقص متقاطع

مالقــية

الموت
يدخل ويخرج
من الحانة.

خيول سوداء
وأقوام غرباء
يعبرون مسارات القيثار
العميقة.

ورائحة ملح
ودم أنثى
في الناردين المحموم
عند الشواطيء.

الموت
يدخل ويخرج
يخرج ويدخل
من الحانة.

حي في قرطبة

في البيت يحتمون
من النجوم.
والليل ينهار.
وفي داخل البيت
طفلة ميتة
بوردة حمراء
مدسوسة في شعرها.
وستة عصافير
تبكيها مجانا.
والناس يتنهدون
بالقيثارات المفتوحة .

رقـص

كارمن
تؤدي الآن رقصتها
في شوارع إشبيلية
شعرها أبيض
وعيناها لامعتان.

أيتها الفتيات اسدلن الستائر

يلتف ثعبان أصفر
فوق رأسها.
حين تفكر وهي ترقص
في شباب الزمن الغابر
أيتها الفتيات أسدلن الستائر

الشوارع خالية
وفي أعماقها
يحدس المرء
بقلوب أندلسية
تبحث عن أشواك قديمة.
أيتها الفتيات أسدلن الستائر

لغز القيثارة

في تقاطع الطريق الدائر
ست صبايا
يرقصن
ثلاث من لحم ودم
وثلاث من فضة
وأحلام الماضي
تبحث عنهن
ولكن يشدهن بقوة نغم مُتَنَاسق
القيثارة !

قنديل

آه لكم يتأمل تأملا عميقا
لهب القنديل.
مثل فقير هندي
يتأمل بواطنه الذهبية
وينكسف حالمًا بأجواء
بلا رياح .
واللقلق المتوهج
ينقر من داخل وكره
تلك الظلال المتراكمة
وينحني بارتجاف
على عينين مستديرتين
فوق وجه الغجري الصغير الميت .

نقّارة

نقّارة
نقارة
نقارة
أيتها الخنفس المصوت
في عنكبوت
الكف
تجعدين الجو
الساخن
وتختنقين
في شدوك
الخشبي.
نقارة
نقارة
نقارة

التين الشوكي

أيها اللاوكنت المتوحش
ما أجملك تحت نور الهلاك
يا لاعب (البيلوتا) المتعدد
ما أجملك
حين تهدد الريح
دفنة وأتيس
يعرفان
ألمك المكتوم

الصبّار

أيها الأخطبوط المتحجر
ضع أحزمة من الرماد
حول خصور الجبال
وأسنانًا رهيبة
في فجاج الجبال
أيها الأخطبوط المتحجر

صليب

الصليب
(نقطة ثابتة
في الطريق)
ينعكس في القناة
(نقاط معلقة)

أغنية الغجري المضروب

أربع وعشرون صفعة .
خمس وعشرون صفعة
ثم إن أمي ستلفني في المساء
بورق فضّي .
يا حراس الطريق
اعطوني جرعا من الماضى
مياها بأسماك وقوارب
ما . ماء . ماء . معاء .

آه يا رئيس الحرس
المطمئن في غرفته
لن تكون هناك مناديل حريرية
لكي تنظف وجهي !

أُغنيات أولى

غدير

شربينات
(مياه راكدة)
صنوبر
(مياه بلورية)
صفصاف
(مياه عميقة)
قلب
(مياه الحدقة)

غدير صغير

نظرتُ نفسي في مرآة عينيك
مفكرا في روحك

أيتها الدفلى البيضاء

نظرتُ نفسي في مرآة عينيك
مفكرا في ثغرك

أيتها الدفلى الحمراء

نظرتُ نفسي في مرآة عينيك
ولكنّكِ كنتِ ميّتةً

أيتها الدفلى السوداء

تنوعات

مصَفَّحٌ الهواء
تحت غصْن الصدى

مصَفَّحٌ الماء
تحت لفيف النجوم

مصَفَّحٌ ثغرك
تحت أمطار القبل

الهلال

القمر يمشي فوق الماء
ما أهدأ السماء!
إنه يشق برفق
ارتجاف النهر العتيق
بينما ثمة غصن غض
يظنه مرآة

غدير ، أغنية ختامية

الليل قادم

وأشعة قمرية
تدق
فوق سندان المساء

(الليل قادم)

وشجرة كبيرة
تختفي
خلف كلمات الأغنيات

(الليل قادم)

لو جئت إلى لقائي
على طول دروب الهواء

(الليل قادم)

لوجدتني باكيا
تحت أشجار الصنوبر الكبيرة
آه يا سمرائي
تحت أشجار الصنوبر الكبيرة

أربع رقصات صفراء

(1)

على قمة الجبل
شجرة خضراء صغيرة

أيها الراعي الراحل
أيها الراعي القادم

زياتين ناعسة
تنحدر إلى السهل المتوهج

أيها الراعي الراحل
أيها الراعي القادم

ليس لديك نعاج بيضاء
ولا كلب ، ولا نبيذ سيء ، ولا حب

أيها الراعي الراحل
أيها الراعي القادم

ومثل الظل الذهبي
تتحلّل في مروج الذهب

أيها الراعي القادم

(2)

كانت الأرض الصفراء
أيها الراعي الصغير

فلا قمر ساطع
ولا نجمة تتألق

أيها الراعي الصغير

يا جانية العنب السمراء
اقطعي بكاء الكروم

أيها الراعي الصغير

(3)

ثوران أحمران
في مرج الذهب
للثيران إيقاع
النواقيس القديمة
وعينا عصفور
لقد خلقت من أجل الإصباحات الضبابية
وهي مع ذلك تشيع رائحة البرتقال
في أجواء الصيف.

شائخة منذ يوم ميلادها
وليس لها أسياد
وهي تتذكر أجنحة أردافها.

الثيران تتنهد دوما
على طول مروج (روت)
بحثا عن مقطع النهر
مقطع النهر الخالد
سكرى بالنجوم
تجتر الدموع

ثوران أحمران في المرج الذهبي

(4)

أمشي فوق سماء زهر المرجريت
هذا المساء

أتخيل أنني قديس:
وقد وضعوا القمر في يدي
وأنا وضعته في الفضاء.
وكافأني الله
بالوردة والهالة.
أمشي فوق سماء المرجريت
والآن أمشي في هذه الحقول
لكي أحرر الصبايا
وأهدي نقودا ذهبية للأطفال
أمشي فوق سماء المرجريت

كتابات على أوراق قديمة

(1)

المدينة

الغاب العتيق
يتغلغل في المدينة ،
ولكن الغاب يظل داخل البحر .

هناك أسهم تخترق الجو
ومحاربون ضائعون تائهون
وسط أغصان المرجان .

وفوق المنازل الجديدة
تخفق شجرة بلّوط صغيرة
وفي السماء إنحناءات
والتواءات   بلورية هائلة

(2)

الـرواق

في الأروقة العالية
يتبختر سيدان
(سماء
جديدة
سماء
زرقاء)

يتبختر سيدان
من الرهبان البيض

سماء
فاصل
سماء
أرجوانية

يتبختر سيدان
صيادان
سماء عتيقة
سماء الذهب

يتبختر سيدان
كانا...
ليل

(3)

الصفحة الأولى

نبع
صاف

سماء صافية

آه ، لكم تكبر العصافير
نبع صاف
آه كيف تؤول أشجار البرتقال

نبع
سماء
آه ، ما أشدّ طراوة القمح

سماء

نبع
ما أشدّ خضرة القمح

بياض الساعة

جلست
في فراغ من الزمن .
كان غديرا من الصمت .
من الصمت الأبيض ،
خاتما رائعا
حيث النجوم تصطدم
بالأرقام الإثنى عشر
السوداء الطافحة .

آدم

شجرة من الدم تبلّل الصباح
وترتجف في أعماقه النفساء
وصوتها يترك بلورا في الجرح

والنور الوليد يحدث ويتخذ
أهدافا أسطورية بيضاء
وينسي ضجيج العروق ، في هروبه
نحو الطراوة العكرة للتفاحة

وآدم يحلم في حمى الصلصال
طفل يبلغه عدوًا في الخفقان
المضاعف للحياه

ولكن آدم أخرا مظلما متجهما
يجلس حالما بقمر محايد
من الصخر الذي لا بذرة فيه
حيث يتلاشي طفل النور

أسيرة

بين الغصون
الحائرة
كانت تسير صبية
هي الحياة .
بين الغصون الحائرة .
وبمرآة صغيرة
كانت تعكس النهار
الذي كان هو روعة
جبينها الصافي.
بين الغصون الحائرة.
وفوق الظلمات
كانت تمشي تائهة،
تبكي الندى

أسيرة الزمن .
بين الغصون
الحائرة .

أغنـــية

فوق أعصان الغار
الحمامتان سودوان .
واحدة هي الشمس.
والأخرى هي القمر.
وسألت.. أيها الأصدقاء
أين قبري ؟
قالت الشمس : في ذيلي .
وقال القمر : في حلقي .
وأنا الذي كنت أمشي والأرض في حزامي .
رأيت نسرين من المرمر ،
وصبية عارية .
واحدة هي الأخرى
والصبية لا أحد

أيتها النسور
أين قبري ؟

قالت الشمس : في ذيلي
قال القمر : في حلقي
وفوق أغصان الكرز
رأيت حمامتين عارتين
الواحدة هي الأخرى
وكلاهما لا شيء

أغنية الصبايا السبع
(نظرية قوس قزح)

الصبايا السبع
يغنين
(وفوق السماء
قوس من أمثال الغروب)
روح بسبعة أصوات
الصبايا السبع
وفي الفضاء الناصع
سبعة طيور طويلة
وتموت الصبايا السبع
لماذا لم يَكُنَّ تِسْعَ صبايا
لماذا لم يَكُنَّ عشرين صبية
والنهر يحملهُنَّ . ولا أحد يراهنَّ

ليليــة محافظة

آنسون ، ثعبان وأسل
عطر ، ظل ، أثر
جو ، أرض
وحدة
(السلم يبلغ القمر)

الغناء يريد أن يكون نورا

الغناء يريد أن يكون نورا .
وفي الظلمة يكتسب الغناء
خيوطا من الفسفور والقمر .
أما النور فلا يدري ما يريد
في حدوده الأوبالية المتلالئة
يلتقي بنفسه
ثم يرحل .

أغنية تلميذ بالقسم الداخلي

السبت
باب الحديقة

الأحد
يوم رمادي

السبت
أقواس زرقاء
نسيم

الأحد
بحر له ضفاف
غابات

السبت

بذار

توتر

الأحد

(حبنا يصبح أصفر اللون)

دوّارة

أيام الأعياد
ترحل فوق العجلات
واللعبة الدوّارة
ترحل بها .
كوربوس دومينوس أزرق
وليلة الميلاد بيضاء
الأيام تفقد جلدها
مثل الثعابين
عدا أيام الأعياد
إنها أيام أمهاتنا المسنات نفسها
أمسياتها طويلة الذيول الحريرية
وبراقة الحلي
كوربوس دومينوس أزرق

وليلة ميلاد بيضاء
الدوارة تدور
معلقة في نجمة
زهرة توليب
أطراف الأرض الخمسة
وفوق خيول صغيرة
متنكرة في هيئة فهود
والأطفال يأكلون القمر
كما لو كان حبة كرز .

مـيـزان

الليلة هادئة، دوما
والنهار يرحل ويعود .

الليلة ميتة وعالية
وللنهار جناح .

الليلة فوق المرايا
والنهار تحت الريح .

أغنية مصحوبة بالحركة

أمس

(نجوم زرقاء)
غدا
(نجوم بيضاء)

اليوم (أحلم بزهرة نائمة
في وديان الشفوف الداخلية)
أمس
(نجوم من نار)
غدا
نجمة بنفسجية

اليوم

هذا القلب ، يا إلهي
هذا القلب الذي يثب
أمس
(ذاكرة
النجوم)

غدا
(نجوم مقفلة)

اليوم...
(غدا)

ربما أحسست بدوار
في القارب ؟
آه ، جسور اليوم
فوق طريق الماء!

تردیـدة

مارس
يمضي محلّقا

ويناير يستمر في الصعود

يناير
يستمر في ليل السماء
وتحتهما مارس
مداه دقيقة

يناير
لعينيِ الواهنتين

مارس
ليديّ الطريتين

صياد

يا غابة الصنوبر العاليّة

أربع حمامات تحلق في الفضاء

أربع حمامات تحلق ثم تحط .
وتحمل الجراح
ظلالها الأربعة .

يا غابة الصنوبر الواطئة
أربع حمامات رابضات فوق الأرض .

تشكيلات

أرض

صبايا النسيم
يجررن الذيول الطويلة

سماء

صبيان الريح
يقفزون فوق القمر

أسطورة

وحيدو القرن ووحيدو العين

قرون ذهبية
وعيون خضراء
فوق الصخرة البرية
في صراع عات
تطهر زئبق البحر
غير البلّوري

وحيدو القر ووحيدو العين
بؤبؤ
وسطوة

من ذا الذي يشك في التأثير
الرهيب لوحيد القرن
خبئي أهدافك .. أيّتها الطبيعة

أغسطس

أغسطس
أضواء وظلال
من الخوخ والسكر
عند الغروب .

والشمس داخل المساء
كأنها بذرة الفاكهة .
والسنبلة
تحتفظ بضحكتها الصفراء القاسية الثابتة
أغسطس
الأطفال يأكلون الخبز الأسود
والبدر الذي في تمامه

بهلوان

نهد الشمس الأحمر
نهد القمر الأزرق
صدر نصفه مرجان
ونصفه فضة وظلال

قطعوا ثلاث شجرات

كانت ثلاثا
(جاء النهار بسياطه)
كانت إثنتين
(أجنحة مخططة بالفضة)
كانت واحدة
لم يعد هناك شيء
(وظلّ الماء عاريًا)

ليليات النافذة

(1)

عاليا يمضي القمر
وتحته تجري الريح .

(ونظراتي الطويلة
تكتشف السماء)

وقمر فوق الماء
وقمر تحت الريح .

(ونظراتي القصيرة
تكتشف الأرض)

وصوتا الفتاتين
يترددان قريبا مني
ومن قمر الماء
وحلت إلى قمر السماء

(2)

وذراع من الليل
تسللت إلى النافذة

ذراع سمراء طويلة
بأسورة مائية .

وفوق بلور أزرق
تلعب روحي للنهر

والدقائق التي جرحتها الساعة
تمضي

(3)

وأطلُّ برأسي
من النافذة فأرى كيف يمكن أن تمزقه موسى الريح

وفي تلك المقصلة اللامنظورة
وضعت رأسي
خاليًا من نظرات شهواتي

ورائحة ليمون
أفعمت الدقيقة الهائلة
بينما كانت الريح
تتحول إلى زهرة قطن

(4)

وفي الغدير
ماتت اليوم فتاة مائية
إنها خارج الغدير

ومن رأسها حتّى الفخذ
تلمسها سمكة وتناديها
والريح تهتف بها
يا صبية
ولكنهما لم يستطيعا إيقاظها

لقد حل الغدير
ضفائرها الطحلبية
وفي الجو كان نهداها الشاحبان
تعشش فيهما الضفادع

ليكن الله في عونك
ولتتوسل عذارء الماء
من أجل فتاة الغدير
التي ماتت تحت اشجار التفاح

.

أني أضع تحت ردفيها
كوستين صغيرتين
يساعدانها على الطفو
أواه
فوق الماء الأجاج

أغنية صينية في أوربا

(1)

الآنسة
صاحبة المروحة
تعبر جسر
النهر الندي

والفرسان
في سترهم
يرمقون الجسر
الخالي من الأكتاف

(2)

الآنسة
صاحبة المروحة
تبحث عن زوج

الفرسان
متزوجون
من شقراوات فارعات القامة
صافيات اللهجة.

أنشودة اشبيلية

تشرق الأضواء
في حقل البرتقال.
نحلات ذهبية
تبحث عن العسل.
أين يكون العسل ؟
يكون في الزهر الأزرق
يا إيزابيل
في زهر الحبق
مجلس ذهبي
للعربي.
وشبه ذهبي
لقرينته.
تشرق الأضواء
في حقل البرتقال.

بكاء الورل

الورل بيكي
الورل يبكي

الورل وأنثاه
بمراييل بيضاء

لقد أضاعا بغير قصد
خاتمي الزوجية

خاتمان رصاصيان
خاتمان مكسوان بالرصاص

سماء عظيمة بلا بشر

ترفع العصافير إلى فلكها الدوار

والشمس ، القائد المستدير
تحمل حزاما حريريا

تأمل كم هما شيخان
يالشيخوخة الورلين العجوزين

وكيف يبكيان ويبكيان
يا للطريقة التي بها يبكيان

قوقعة

حملوا إليَّ قوقعة
في داخلها
يغني بحر.
وامتلأ قلبي
بأسماك صغيرة
بلون الظل والفضة
لقد حملوا إليَّ قوقعة .

أغنية مغناة

في اللون الرمادي
يرتدي العصفور غريقون
اللون الرمادي.
والطفلة ليريكي
تفقد نصاعتّها
وهيئتّها هناك .
ولكي أدخل في الرمادي
ارتسمت بالرمادي
آه لكم أتألق
في اللون الرمادي

منظر

المساء يلتبس
فيرتدي الصقيع .

وخلف الزجاج
جميع الأطفال
يبصرون شجرة صفراء
تتحول كلّها إلى طيور .

والمساء يمتد على طول النهر .
واحمرار التفاح يرتجف فوق السطوح .

أغنية غبية

أماه
أريد أن أكون من فضة

ما ولداه
ستحس من ذلك بالبرد الشديد

أماه
أريد أن أكون من ماء

يا ولداه
ستحس من ذلك بالبرد الشديد

يا أماه
طرزيني في وسادتك

هذا ممكن
يا ولداه
وفورًا

أغنية فــارس

فوق القمر الأسود
قطاع طرق
يتغنون بالمهاميز .

أيها المهر الأسود
إلى أين تحمل فارسك الميت ؟

والمهاميز الصلبة
لقطاع الطريق الجامد
الذي فقد الأغنية .

أيها المهر الأسود
بالعطر زهر السكين

فوق القمر الأسود

ينزف جانب
من جبال سيرا مورنيا .

آيها المهر الأسود
إلى أين تحمل فارسك الميت ؟

الليل يخز
وركبه الأسودين
غارسا النجوم .

أيها المهر الأسود
يالعظر زهر السكين
فوق القمر الأسود .
صرخة
وقرن النيران العالية .

أيها المهر الأسود
أين تحمل فارسك الميت .

أَدَلِينَ تَتَمشَّى

البحر لا برتقال فيه
وإشبيلية بلا حب .
يا سمراء
أي نور نيراني !
أعيريني مظلتك .

إن وجهي ليخضَرُّ
بعصير النارنج والليمون .

كلماتك
سمكات صغيرة تسبح حولي .

البحر لا برتقال فيه
يا حبيبتي
وإشبيلية بلا حب .

السمراء

أيتها السمراء ، ذات الجذع الرمادي
اعطني عنقودا خاصا بي .

يا خليط الدم والأشواك اقتربي
فإذا أحببتني فسوف أحبك .

دعي ثمارك من الخضرة والظلال
فوق لساني ، يا سمراء
يالطول العناق الذي أخصك به
في ظلال شكوكي
يا سمراء ، إلى أين تذهبين ؟
للبحث عن الحب الذي لا يمكنك أن تمنحي إيّاه

حبيبتي ذهبت إلى البحر

حبيبتي ذهبت إلى البحر
لكي تحصي حبات الحصى وذرات الأمواج
ولكنّها قابلت فجأة
نهر إشبيلية .

وبين أزهار الدفلة والنواقيس
كانت خمسة زوارق تتمايل
بمجاديف في الماء
وأشرعة مفتوحة للنسيم .

أمسية

(أكانت حبيبتي لوسيا
تغمس قدميها في الجدول)

ثلاث شجرات حور
ونجمة واحدة .

والصمت الذي تعضه الضفادع
يشبه النسيج الشفاف
الملون ببقع خضراء .

وفي النهر شجرة جافة
مزدهر في دوائر متحدة المركز

وحلمت فوق الماء
بسمراء غرناطة .

أغنية الفارس

قرطبة
نائية ووحيدة

مهره سوداء
وقمر كبير
وحبات زيتون في جرابي
ورغم معرفتي بالطرق
فلن أصل أبدا إلى قرطبة .

في السهل ، وفي الريح
مهرة سوداء ، وقمر أحمر
والموت يترصدني
من أبراج قرطبة .

آه يا لها من طريق طويلة
آه ، يالمهرتي الرائعة
آه ، إن الموت لينتظرني
قبل أن أصل قرطبة
قرطبة النائية الوحيدة .

حقـــا

آه ، لكم يكلفني من عناء
أن أحبك
بالطريقة التي أحبك بها .

من أجل حبك
يوجعني الهواء
والقلب
والقبعة .

من يشتري مني وثائي
وهذا الحزن الأبيض الأسلاك
لينسج منه مناديل ؟

آه ، لكم يكلفني من عناء
أن أحبك
بالطريقة التي أحبك بها

أربولي ، أربولي
جاف وأخضر

إن الفتاة الجميلة المحيا
تجمع الزيتون .
والريح ، مغازلة الأبراج
تعبث بحزامها ،
ويمر أربعة فرسان
فوق خيول أندلسية
بملابس زرقاء وخضراء
وبرانيس طويلة قاتمة
تعالي إلى قرطبة .. أيتها الصبية .
ولكن الفتاة لم تصغ إليهم .
ويمر ثلاثة مصارعي ثيران شبان

ضامري الخصور .
بملابس برتقالية اللون
وسيوف من فضة عتيقة .
تعالي إلى اشبيلية .. أيتها الفتاة
ولكن الفتاة لم تصغ إليهم .

وحين صار المساء بنفسجيا
وانتشرت الأنوار
مرشاب يحمل ورودًا ورياحين القمر .
تعالي إلى غرناطة .. أيتها الفتاة
ولكن الفتاة لم تصغ إليه .
والفتاة الجميلة المحيا
استمرت في جمع الزيتون
وقد أحاطت ذراع الريح الرمادية
بحزامها .

أربولي أربولي
جاف وأخضر .

سـارق القلوب

يا سارق القلوب
أيها المغازل الرشيق
في بيتك يحرقون الصعتر.

سواء
ذهبت أم أتيت
فسأوصد بابي بالمفتاح

مفتاح من فضة نفيسة
مشدود بشريط .

كتب على الشريط
(إن قلبي لبعيد) .

لا تطف بدربي.
ودعه للريح !

يا سارق القلوب
أيها المغازل الرشيق
في بيتك يحرقون الصعتر .

باكو

صخب أخضر غير ممسوس
التين يمد أذرعه .

ظله مثل النمرة
يتجسس على ظلي الغنائي .

القمر يعدّ الكلاب
فيخطىء ويستأنف العد .

أمس ، غد ، أسود ، أخضر ،

يرتفع ويهبط حقل أشجار الغار

من الذي يمكنه أن يحبك مثلي

إذا بادلتني القلب ؟

والتين يصرخ ويزحف
رهيبا ومتزايداً .

فرلين

الأغنية التي لن أقولها أبدا .
نامت على شفتي .
الأغنية التي لن أقولها أبدا .

وفوق زهرة العسل
حطّ الحباحب .
والقمر يخز الماء
بخيط من الشعاع

حينذاك حلمت بالأغنية التي لن أقولها أبدا .

أغنية مليئة بالشفاه
ومجاري السيول البعيدة .

أغنية مليئة بالساعات الضائعة في الظل .
أغنية نجمةٍ
خفاقة بالحياة
فوق نهار دائم .

(خوان رامون خمينيس)

في البياض اللانهائي
للثلج وزهر الناردين والملح
أضاع خياله .

واللون الأبيض يجري
فوق بساط صامت
من ريش حمامة .

بلا عيون ولا إشارات
يتعذب ساكنا ، حلم
ولكنه في أعماقه يرتجف
وفي البياض اللانهائي

ما أصغر وأطول الجرح
الذي أبقاه خياله .

في البياض اللانهائي
ثلج وناردين وملح

فينوس

هكذا رأيتك

الفتاة الميتة
فوق قوقعة الفراشة
تنهض للنور الخالد
عارية ، مجردة
من الزهر والتسيم .

ويظل العالم
زنبقا من الكتان والظل
يواجه البلور
ليتأمل التحول النهائي .
الفتاة الميتة

شقها الحب في الأعماق
وبين زبد غطاء الفراش
أضاعت تسريحتها .

Debussy

إن ظلي يمضي صامتا
في مياه الساقية .

وفي ظلي
تحرم الضفادع من رؤية النجوم.

والظل يرمي على جسدي
انعكاسات لأشياء ساكتة .

وظلي يعبر مثل بعوضة ضخمة
ذات لون بنفسجي .

ومئة صرصار

تريد تذهيب
نور حقل القصب .

ونور ينبثق في صدري
من الساقية العاكسة .

نـرجـس

حذار
أيها الصبي
ستقع في النهر .
(وفي أعماق النهر وردة
وفي عمق الوردة
نهر آخر)
تأمل ذلك العصفور .
تأمل العصفور الأصفر
لقد سقطت عيناي
في عمق الماء .

يا إلهي

سقط الصبي
وفي الوردة كنت أنا نفسي .

وحين هلك في الماء
فهمت، ولكني لن أوضح

ساحليات

مع مصاحبة نواقيس

يقولون إن لك وجها

(بلالين)

كوجه البدر

(بلالان)

كم عدد النواقيس التي تسمعين ؟

(بلالين)

ولكن .. عيناك .. آه

(بلالين)

معذرة ، أقصد محجري العينين

(بلالان)

وهذه الوردة الذهبية

(بلالين)
وهذه ، لا أقدر .. هذه
(بلالان)
فوق تنورة صلدة
تدق النواقيس
يا لفتنتك الخفية .. أنت
(بلالين
لين
لين)
معذرة

إلى إيرين غارسيا

(الخادمة)

في الغاب
ترقص أشجار الحور
كل واحدة مع الأخرى .
وشجر الأربوليه
بأوراقه الرباعية
يرقص هو الآخر .

إيرينا
وفيما بعد
سوف تأتي الأمطار

والثلوج
فارقصي فوق الخضرة .

فوق الخضرة الخضراء
سأكون رفيقك في الرقص .

آه ، كيف يجري الماء
آه .. قلبي
في الغاب
ترقص أشجار الحور
كل واحدة مع الأخرى
والأربوليه
بأوراقه الرباعية
يرقص هو أيضا .

في أذن فتاة

لم أرغب
لم أرغب
في أن أقول لك شيئا .

رأيت في عينيك
شجرتين مجنونتين
بالنسيم والضحك والذهب .

تتأودان
لم أرغب

لم أرغب
في أن أقول لك شيئا .

طريق البكم

خلف الزجاجيات الثابتة
تتلاعب الصبايا بضحكاتها .

(وفي آلات البيانو الجوفاء
عناكب متوازنة) .

الصبايا يتحدثن عن الخطّاب
ويلوحن بالضفائر المضمومة .

(عالم المراوح والمناديل والكلف)

والشباب يجيبون راسمين
أجنحة وزهورا .

الناس يرحلون

الناس يرحلون
والخريف يأتي

الناس يرحلون
صوب الخضرة .
يحملون ديوكا
وقيثارات بهيجة
إلى مملكة البذر .
والنهر يحلم
والنبع يتدفق .
لتقفز
أيها القلب المتوقد .

الناس يرحلون

صوب الخضرة .
والخريف يأتي
بصفرة النجوم .
طيور هزيلة
وأمواج متراكزة .
والرأس
فوق الصدر المُنثَنى .
توقّف
أيها القلب المجبول من الشّمْع

الناس يرحلون
والخريف يأتي .

أغنية المخنث

المخنث يمشط شعره
مرتدياً قميص نومه الحريري .

والجيران يتضاحكون
عند نوافذهم الداخلية .

المخنث يلمع
خصلات شعره .

وفي الردهات
تتصايح الببغاءات
نوافير وكواكب .

المخنث يتزين
بزهرة ياسمين ماجن .

يصير المساء غريبا
بين الأمشاط وأشجار العليق .

وترتجف الفضيحة ،
خطوطها مثل حمار الوحش .

ومخنثو الجنوب
يتغنون في الشرفات

شجرة الغناء

قصبة من الصوت والحركة
مرّة ، ثم مرّة أخرى أيضا
ترتجف دون أمل
في أجواء الأمس .

والصبية تتنهد
راغبة في قطف أنغامها
ولكنها تصل إليها دوما
متاخرة دقيقة واحدة .

آه أيتها الشمس
أيها القمر القمر
دقيقة متأخرة

وستون زهرة رمادية
تَعْقِلُ قدميها .

انظر كيف تتمايل
مرّة ، ثم مرّة أخرى أيضا
عذراء الزهور والأغصان
في رياح الأمس .

نارنج وليمون

نارنج وليمون
آه فتاة الحب الشرير .

نارنج وليمون
آه الفتاة
الفتاة البيضاء

ليمون

(كيف تلمع
الشمس)

نارنج

(فوق حصَى الماء)

طلـوع القمر

حين يطلع القمر
تسكت الأجراس
وتبدو الدروب
غير سالكة .

وحين يطلع القمر
البحر يغطي الأرض
والقلب يصير
جزيرة في اللانهائي .

لا أحد يأكل البرتقال
تحت القمر التمام .
يجب أن تؤكل الفواكه
الخضراء المثلجة .

حين يطلع القمر
بأوجهه المثة المتشابهة .
فإن العملة الفضية
تغص في الجيب الصغير .

قمر المساء

(1)

القمر مات ، مات
ولكنه انبعث في الربيع

وحين يتجعد ريح الجنوب
فوق جبهات أشجار الحور .

وحين تمنح قلوبنا
صلواتها من التنهدات .

وحين تكتسي السقوف
بقبعات العشب .

مات القمر مات .
ولكنه ينبعث في الربيع .

(2)

المساء يغني
لأشجار البرتقال .
وأختي تغني
والأرض كلّها برتقال

يقول القمر باكيا
أريد أن أكون برتقالا .

ولكن لا يمكنك
يا ابنتي
حتّى لو صرت وردية
بل لا يمكنك أن تكوني ليمونة صغيرة .
يا للأسف !

الإثنين والأربعاء والجمعة

أنا كنت
أنا قد كنت في الماضي البعيد
ولكني الآن ، لست كائنا
أنا كنت
أيتها المصبات الرائعة
لشجرة الصنوبر وظلاله
زاوية القمر التمام
زاوية القمر الوحيد

أنا قد كنت في الماضي البعيد

إن القمر يريد أن يهزأ بي
قائلا : إنه كان وردة

وبلحاف من الريح
ألقي حبيبي بنفسه
بين الأمواج .
ولكني غير كائن .

وأمام زجاج مكسور
أخيط دائي الغنائي

(ماتت عند الفجر)

ليل الأقمار الأربعة
وشجرة واحدة
وظل واحد
وعصفور وحيد .

أبحث في جسدي
عن طابع شفتيك .
والجبهة تقبل الريح
دون أن تلمسه .

إني أحمل (لا) الرفض التي نطقت بها
فوق راحة كفي
مثل ليمونة من الشمع الأبيض .

ليل الأقمار الأربعة
وشجرة وحيدة
وعلى رأس الابرة
يوجد حيي الذي يدور .

زهـر

على هيئة أغصان
البان الرائعة
يتساقط المطر .

آه أيها القمر المستدير
فوق الأغصان البيضاء .

الذكرى السنوية الأولى

الصبية التي تواجهني
آه ، ياله من شعور تليد .

أقول ماذا يجدي
إن بشرتك تبدو لي سوسن أحمر

إن بشرتك تبدو لي سوسنا أحمر
وأسلاً طريا غضًا .

يا سمراء القمر التمام
ماذا تريدين
من شهوتي ؟

الذكرى السنوية الثانية

القمر
يغرس في البحر
قرنا طويلا من النور .

قرنا وحيدا أخضر ورماديا
قرنا مرتجفا ولكنه ذاهل .
والسماء تطفو وسط الجو
كأنها زهرة لوتس كبيرة .

وأنت تتنزهين وحدك
في آخر ديار الليل .

خوف في غرفة الأكل

كنت بلون الورد
فصرت بلون الخضرة
ماذا رأيت في يدي ؟
أي تهديد ؟
لقد رغبت في التفاح الأخضر
وليس التفاح الأحمر
أخضر .
يا مالك الحزين
لقد نام المساء
ضع فوق الأرض
قدمك الأخرى .

لوسيا مارتينيز

لوسيا مارتينيز
يا ظل الحرير الأحمر ،

ساقان مثل المساء .
ينتقلان من النور إلى الظل .

والعنبر المحجب
يطمس زهرة المانوليا .

ها أنا يا لوسيا ماتينيز
جئت لكي أستهلك ثغرك
وأجرك من شعرك جرا .

لأني أريد
ولأني قادر
يا ظل الحرير الأحمر

العانس

تحت (موسى) البخور
تنعسين.

وعينا ثور تحدقان إليك
ومسبحتك تمطر .

لا تتحركي ، يا فرجينيا
بذلك الفستان الحريري الغامق .

وقدمي بطِّيخَ نهديك الأسود
قربى لصخب التراتيل المتعالية .

بساطـن

لا أرغب أن أكون شاعرا
ولا سارق قلوب
لفائف بيضاء حيث تستسلمين .

لا تعرف النوم ،
ولا روعة النهار ،
ومثل المحابر ،
تعمى وهي عارية ،
بحبر من العطر .
كارمن .

لـو

لكم كنت قبيحة عارية
تحت أشجار الدفلة
التي غاب عنها القمر .

لقد حاول جسدك
أن يبحث في خارطتي
عن الأصفر الإسباني .

لكم كنت قبيحة عارية
أيتها الفرنسية الصغيرة
في مرارة الدفلة .

أحمر وأخضر

رداء مواهي
ألقيته فوق جسدك .

أحمر وأخضر وأخضر وأحمر
نحن قوم آخرون .

إلى مالقة

ليوناردا الفاخرة
بشرة بابوية وثوب أبيض
عند أسيجة فيلا ليوناردا
معروضة للترامويات والسفن .
صدور السابحين السوداء
تعمّ ضفة البحر
مهتزة
محارة ولوتس
تقبل عجيزتك
عجيزة (سرير) في بلاغة مرمرية .

سيرينادا

الليلة تستحم
على طول ضفاف النهر .
وفي نهدي لوليتا
تموت الأغصان عشقا .

تموت الأغصان عشقا .

الليلة تغني عارية
فوق جسور مارس
ولوليتا تستحم بالماء المالح والناردين .

والأغصان تموت عشقا

الليلة من فضة وأنسون

تتألق فوق السطوح
فضة الضفاف ومرايا
وأنسون فخذيها الأبيضين .

وتموت الأغصان عشقا .

مشهد

أبراج عالية
وأنهار طويلة

الحورية :

خذ خاتم الزوجية
الذي حمله أجدادك
ألف يد دفينة
تحس بالحنين إليه .

أنا :

إني أحس فعلا في يدي

زهرا ضخما من الأصابع
ورمز الخاتم
لا أريده .

أبراج عالية
وأنهار طويلة .

ضيق وليل

ورِوار
فوق أشجارك القاتمة
ليل سماء حائرة
وجو متعلثم .

ثلاثة سكارى
يخلدون حركات النبيذ والحزن
وكواكب الرصاص تطوف
فوق قدم

ورِوار
فوق أشجارك القاتمة
وجع الصدغ المضغوط

بأكليل الدقائق
وصمتك ؟
والسكارى الثلاثة يغنون عراة
وأغنيتك
غرزة من الحرير البكر

ورروار

ور ور ور ور

الطفل الصامت

الطفل يبحث عن صوته
(وصوته عند ملك الصراصير) .
في قطرة ماء
يبحث الطفل عن صوته .

لا أريده من أجل الكلام
ولكن لكي أصنع منه خاتماً
يحمل صمتي
إلى أصبعي
الإبهام .

في قطرة ماء

يبحث الطفل عن صوته
(وصوته الأسير، البعيد
يرتدي رداء صرصار)

الطفل المجنون

قلت : إنه المساء
ولكن الأمر لم يكن كذلك
فالمساء كان شيئا آخرا
وكان قد رحل

(والنور يضم كتفيه
كأنه طفلة صغيرة)

إنه المساء
ولكن عبثا .
هذا المساء زائف
وهلاله من الرصاص
والمساء الآخر لن يأتي أبدا

والنور كما يراه الجميع
يلعب لعبة التماثيل الصغيرة
مع الطفل الصغير)

الأخرى كانت صغيرة
وتأكل الرمان
ولكن هذه عظيمة وخضراء
لا أستطيع أن أحتضنها
أو أرتديها
لن أرتديها
لن تأتي أبدا ؟
ولكنها كيف كانت ؟

(وأحب النور أن يمارس عبثه،
ففصل الطفل المجنون عن ظلّه)

خطوبة

القوا بذلك الخاتم
في الماء

(إن الظل يسند أصابعه
فوق كتفي)

القوا بذلك الخاتم
عمري يزيد على مئة عام
صمتا .

ولا تطلبوا مني شيئا .

القوا بذلك الخاتم
إلى الماء .

توديـع

حين أموت
دعوا شرفتي مفتوحة .

فالطفل يأكل البرتقال
أراه من شرفتي

والحصاد يحصد القمح
أشمه من شرفتي .

حين أموت
دعوا شرفتي مفتوحة .

انتحار

(ربما كان ذلك لأنك لا تعرف الهندسة)

الصبي نسي
أنها العاشرة صباحا
وقلبه يمتلىء بأجنحة متكسرة
وأزهار من الخرق .

وفهم أنه لم يعد له أخيرا
في فمه ، سوى كلمة واحدة .

وحين أزاح القفاز
سقط على يديه رماد عذب .

ومن الشرفة كان يرى برجا
وشعر أنه صار الشرفة والبرج .

رأى يقينا كيف كانت
الساعة تنظر إليه وهي في الدرج .

ورأى ، ظلّه المتوتر والهادىء
فوق بياض الأريكة الحريرية .

والشاب الحازم ، الهندسي ؟
كسر المرآة بسوطه .

وفي تكسيره
غمر دفق من الظل الكبير
المضجع الواهي .

قصيدة الرغبة الأولى

في الصباح الأخضر
أريد أن أكون قلبا
قلبا .

وفي المساء الناضج
أريد أن أكون بلبلا
بلبلا .

أيها القلب
كن بلون البرتقال
أيها القلب .
كنت بلون الحب .

وفي الصباح الحي
أريد أن أكون ذاتي
أكون قلبا .

وفي المساء الآفل
أريد أن أكون صوتي .
أن أكون بلبلا .

أيها القلب
كن بلون البرتقال
أيها القلب
كن بلون الحب

في المعهد والجامعة

المرة الأولى
لم أعرفك .
أما في المرة الثانية
فقد عرفتك .

قل لي
إذا قالت لك الريح .

في ذلك الصباح البارد
صرت حزينا
وجاءتني الرغبة في الضحك .
لم أعرفك نعم لقد عرفتني
ولكنك لم تعرفني .

والآن ، بين الإثنين
يمتد شهر لا يمكن عبوره ،
مثل حاجز من الأيام الرمادية .

المرة الأولى لم أعرفك .
ولكن في المرة الثانية
عرفتك .

غزليـة صغيرة

لحقلك أربع
رمانات .
خذي قلبي
الجديد

لحقلك أربع شريينات
خذي قلبي
الجديد .

شمس وقمر
ثمّ
لا قلب
ولا حقل .

غـزل

تريدين أن أفضي إليك
بسر الربيع .

إني أكتم السر
مثل شجر الشربين

الشجر الذي تشير أصابعه الألف
إلى ألف طريق .
لن أقول لك أبدا .
يا حبيبتي
لماذا يجري النهر بطيئا .

ولكني أضع فوق صوتي الواهن
سماء نظراتك الرمادية

دورِيني ، يا جميلتي السمراء
ولكن احذري سقوط وريقاتي الصغيرة .

دوريني أكثر فأكثر
ولنلعب بناعورة الحب .

آه ، حتّى لو رغبت
فلن أقدر على أن أفضي إليك
بسر الربيع .

نرجس

نرجس
عطرك
ومجرى النهر .

أريد أن أبقى قريبا منك
يا زهرة الحب .
يا نرجس

تتقاطع في عينيك البيضاوين
أمواج وأسماك نائمة .
وطيور وفراشات
تعبر عيني .

أنت صغيرة وأنا كبير
يا زهرة الحب .

يا نرجس .

لشد ما تقفز الضفادع بسرعة .
فتطرد الهدوء والصفاء .
عن صفحة المرآة
التي أتأمل فيها ذهولي وذهولك .

نرجس يا ألمي

يا ألمي
يا ألمي الخاص .

غرناطة

من غرفتي
أصغى إلى النافورة .

وأصبع من العريشة
وشعاع من الشمس
يشيران إلى مكان قلبي .

وفي رياح أغسطس
ترحل الغيوم
وأنا أحلم
بأن لا أحلم في النافورة .

صدى

لقد تفتحت الآن
زهر الفجر

(وهل تذكرين
أفق المساء ؟)

إن ناردين القمر
تشيع روائعها الباردة .

(هل تذكرين
نظرة أغسطس ؟

دوزنـة

المسالك تختفي
ولكنها تترك انعكاساتها .

والمسالك تتبدد
ولكنها تترك الريح .

والريح ملفوفة في كفنها
تضطجع تحت السماء .

ولكن تركت صداها
يخفق فوق النهر .

ودنيا الحباحب
غزت ذكرياتي .

وقلب ضئيل جدا
ينفتح بين أصابعي .

دوزنـــة

في السماء الخضراء
نجمة خضراء
ماذا يمكنها أن تفعل يا حبيبتي
غير أن تضيع ؟

الأبراج مندمجة
في الضباب البادر
كيف يمكنها أن ترى
بنوافذها ؟

مئة نجمة خضراء
لا يمكنها أن ترى مئة برج أبيض
فوق الثلج .

وهذه هي لوعتي .
ولكي أجعلها حيّة
فإني أزينها بابتسامات حمراء .

سوناتا

شبح طويل
من فضة رجراجة
ريح الليل الذي يتنهد
فتح بيد رمادية
جرحي القديم .
ثم لاذ بالفرار
على رغبتي فيه .

يا جرح الحب الذي يمنحني الحياة
بدم خالد ونور صاف
لتمت كمدا .
حيث فيلومينا الخرساء
تضع غابا وألما وعشا أبيض .

آه . يا له من ضجيج عذب
ذلك الذي يعصف برأسي .
سأضجع قرب الزهر البسيط
حيث يعيش جمالك من غير روح .
والماء الجواب يصبح أصفر
بينما يجري دمي .
في البقعة المعطرة
والمبللة من الضفة .

بطريقة أخرى

النار الموقدة
تغرس في حقل المساء
قرون الوعل الغاضب .
والوادي كلّه انبساط .
وفوق ظهوره تقفز الريح .

والريح تتبلل تحت الدخان
كعين القط الصفراء الحزينة .
وأنا انتزه في عيني
فوق الغصون .
والغصون تتنزه فوق النهر .

وتأتي حاجاتي الضرورية
هي ترديدات الترديدات

وبين الخيول الصغيرة والمساء المخيم
يبدو من الغريب
أن اسمع من يدعوني فيديريكو .

أغنية نوفمبر وأبريل

السماء الغائمة
تبيض عيني .

ولكي أنعشهما
أقرب إليهما
زهرة صفراء .

ولكني لا أنجح في تكديرهما
ويظلان قاسيتين بيضاوين .

(وفوق كتفي
تحلق روحي مذهبة وطالحة)

وسماء أبريل
تصبغ عيني بلون النيلج .

ولكني أحبهما
فإني أقرب إليهما وردة بيضاء

فلا أنجح في صهر الأبيض في لون النيلج .
وفوق كتفي تحلق روحي
مسدودة عمياء .

أيها الماء إلى أين ترحل؟

أيها الماء إلى اين ترحل ؟
ضاحكا أمضي فوق النهر
إلى ضفاف البحر .

أيها البحر إلى أين ترحل ؟
أصعد النهر
لأجد نبعا استريح عنده

يا شجرة الحور ، ماذا تنوين أن تفعلي

لا أريد أن أفضي إليك بشيء
أنا .. أرتجف .

ما أريد وما لا أريد
فوق النهر، وفوق البحر.

أربع عصافير تائهة
تقبع فوق شجرة الحور العالية.

المرآة الخداعة

غصن أخضر
طليق من الايقاع والطيور

صدى نحيب
بلا ألم ولا شفاه
زجل وغابة .

أبكي أمام البحر الأجاج
وفي عيني
بحران يغنيان .

أغنية مستحيلة

وردة مستقبل وقريحة مكبوتة
وأحجار الأمس الكريمة ، ونسائم اليوم

أريد أن أنساها

رجل وأسماك في ممالكها تحت أشياء طافحة
حين ينظر الليل في الطحلب
أو فوق المقعد
أريد أن أنساها

أنا

أنا وحدي

أشتغل بالصحن
حيث لا ينتهي رأسي
أنا وحدي

بستان مارس

شجرة تفاحي
تمتلك فعلا الظل والطيور .

أي قفزة يقفزها حلمي
من القمر إلى الريح .

تفاحتي
تمد ذراعيها للاخضرار .

وإبتداء من مارس
أرى جبين يناير الأبيض .

تفاحتي .
(ريح خافت)

تفاحتي .
(السماء عالية)

بحاران عند الضفة

1 ـ حمل في قلبه
سمكة من بحر الصين

وفي بعض الأحيان
يراها صغيرة
تسبح في عينيه

عليك أن تنسى
ما دمت بحارا
المقاصف والبرتقال
وتأمل الماء وحده .

2 ـ كان له في لسانه غسول
فغسل كلماته ، وسكت .

عالم أملس وبحر متجعد
ومئة نجمة ، وسفينته

لقد رأى شرفات قصور البابا
والنهود الذهبية لصبايا كوبا .

تأمل الماء .

قلق التمثال

ضجيج
حتّى وإن لم يبق غير الضجيج .

عطر
حتّى وإن لم يبق غير العطر .

ولكن انزع عني الذكرى
ولون الساعات القديمة

ألم في مواجهة الألم السحري الحي .

معركة
في صميم المعركة الحقيقية القذرة .

ولكن
لتبعد عني الناس اللامرئين
الذين يحيطون على الدوام ببيتي .

أغنية شجرة النارنج الجافة

أيها الحطاب
اقطع ظلي .
انقذني من عذاب
أن أرى نفسي بلا نارنج ،

لماذا ولدت بين المرايا ؟
النهار يلفني
والليل يقلدني
في كل نجومه

أود أن أعيش دون أن أرى نفسي
وأن أحلم
بأن النمال والأنسام
هي أوراقي وطيوري

أيها الحطاب
اقطع ظلي .

انقذني من عذاب
أن أرى نفسي
بلا نارنج .

أغنية النهار الراحل

لكم يكلفني من عناء
أن أتركك ترحل .

أيها النهار
أنت ترحل ممتلئا بي
وتعود دون أن تعرفني
يا له من عناء
أن أترك فوق صدرك
حقائق ممكنة
لدقائق مستحيلة :

في المساء ، أجد نجوم برسيس
يبرد الأغلال

ويهرب فوق الجبال
جارحا قدميك
ليسَ في وسع جسدي وبكائي
إغواؤك .
ولا النهر حيث ينام
سرابك الذهبي .
من الشرق إلى الغرب
أحمل ضوءك الدائري
ضوءك العظيم الذي يسند
روحي المتوترة . من الشرق إلى الغرب
لكم يلكفني من عناء
أن أحملك بطيورك
وبذراعيك المصنوعتين
من الريح .

لوركا
كما تصوّره بعض الفنّانين

Francisco Bores
Madrid, hacia 1927.

José Caballero
Hacia 1934.

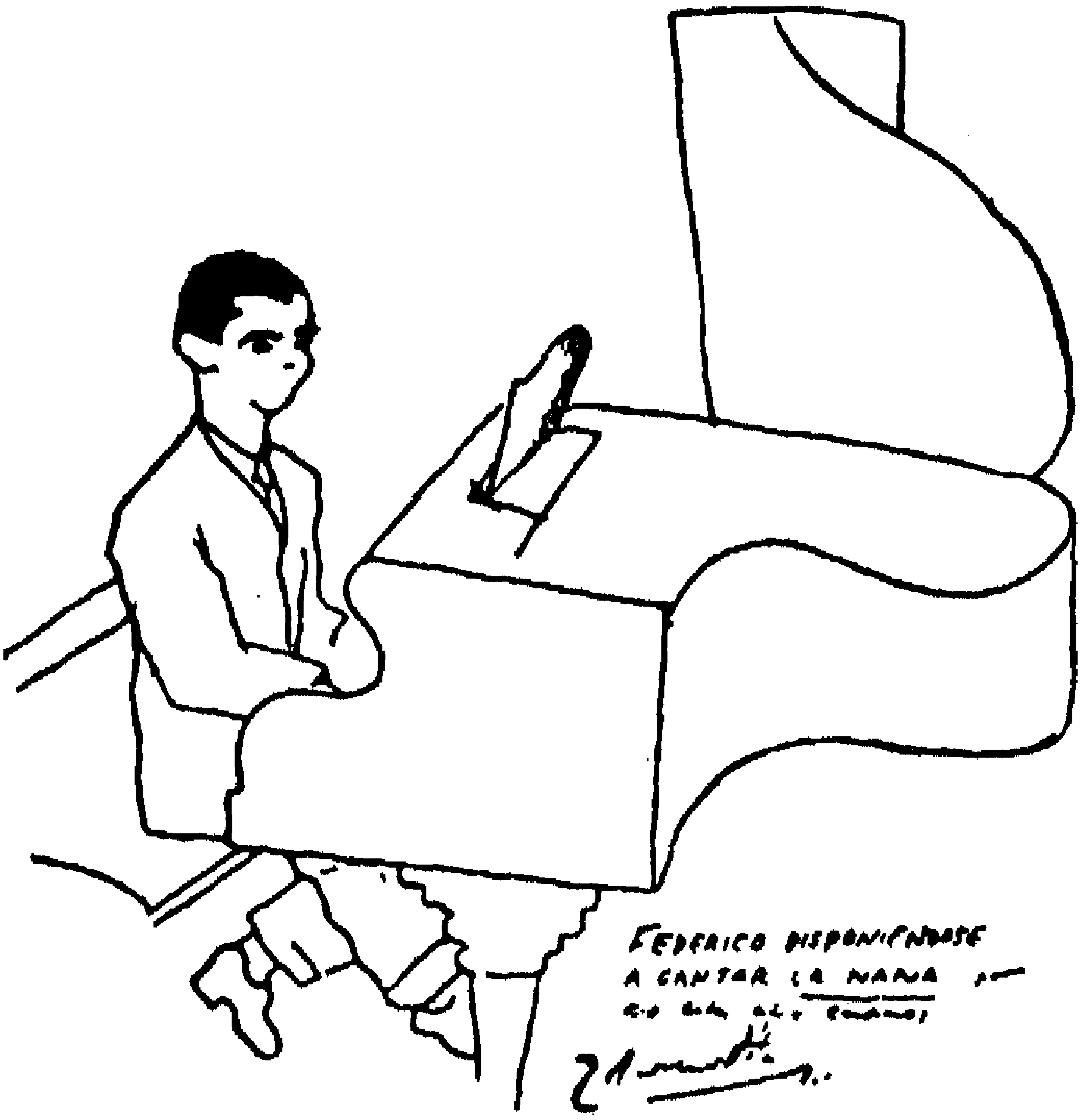
FEDERICO DISPONIÉNDOSE
A CANTAR LA NANA

Santiago Ontañón
Madrid, 1928.

José Caballero
Madrid, 1961

Manuel Angeles Ortiz
Granada, hacia 1920.

Rafael Pena
Madrid, 1945.

Gori Muñoz
Buenos Aires, 1944.

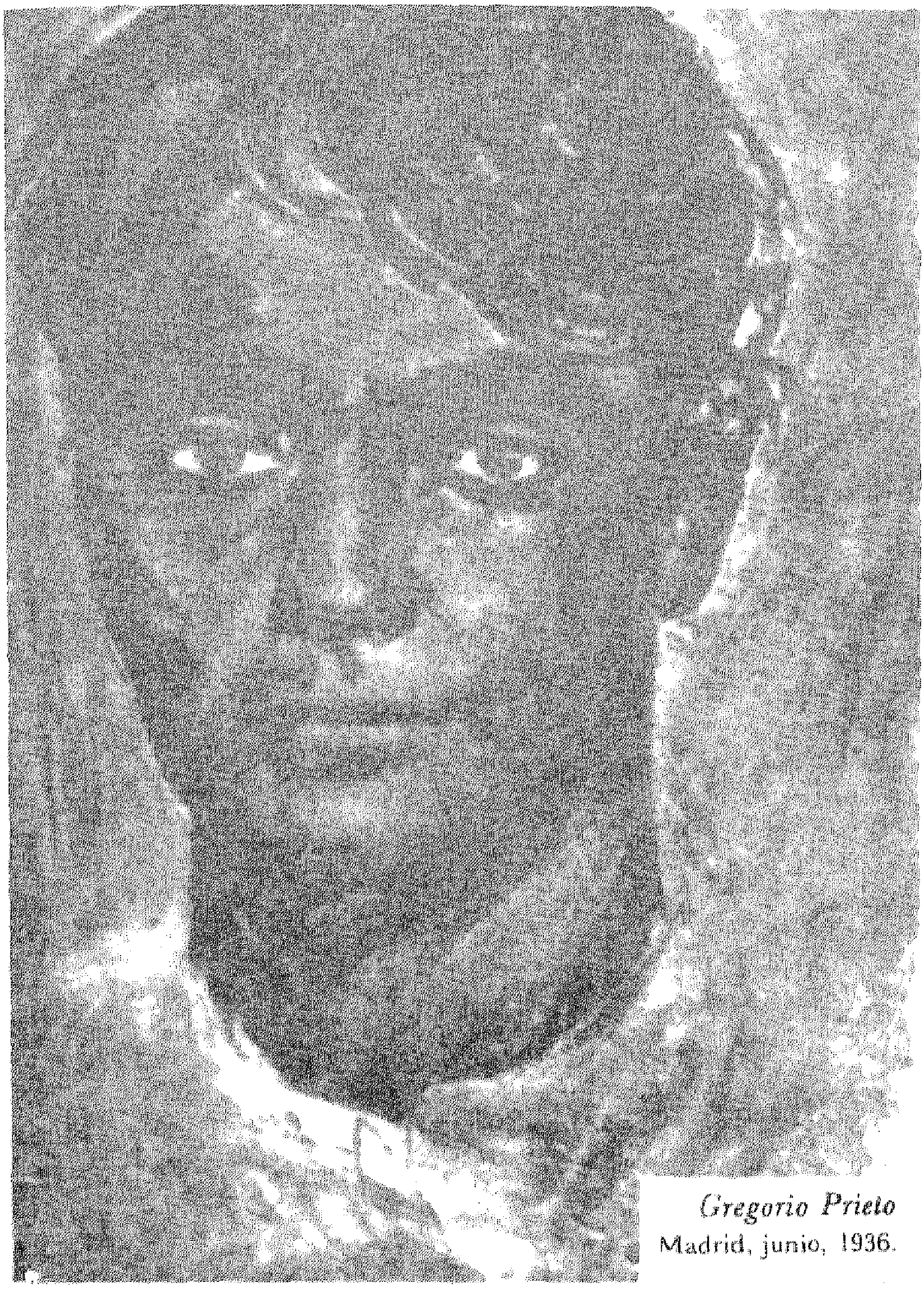

Gregorio Prieto
Madrid, junio, 1936.

José Machado
¿1936?

Emilio Ferrer
1928

Arteche
1933.

Emilio Grau Sala
Barcelona, 1933.

Manolo Millares
20 de noviembre de 1949.

Eduardo Carretero

José Moreno Villa
México, 1938

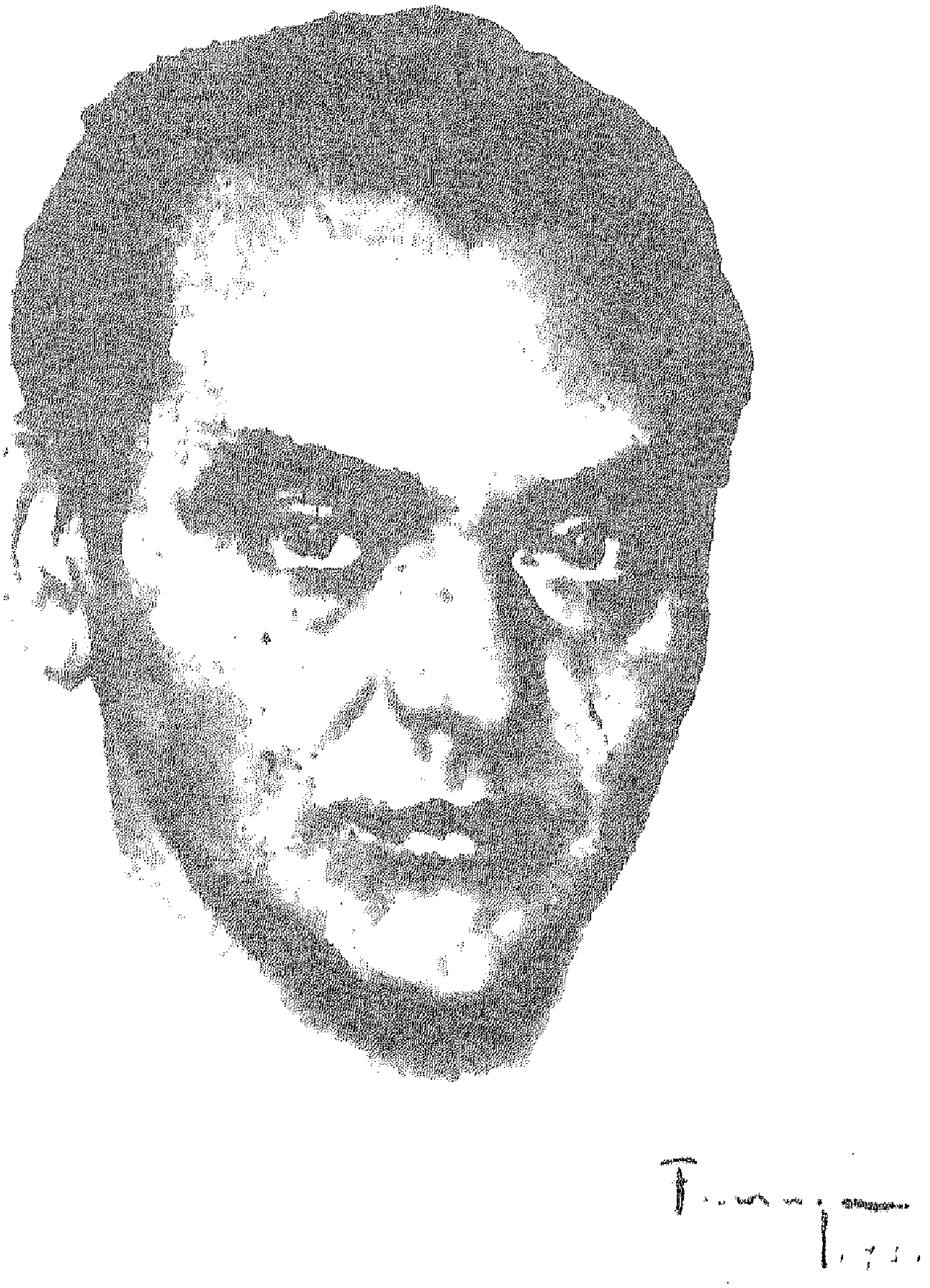

Ciriaco Párraga
Madrid, 1936.

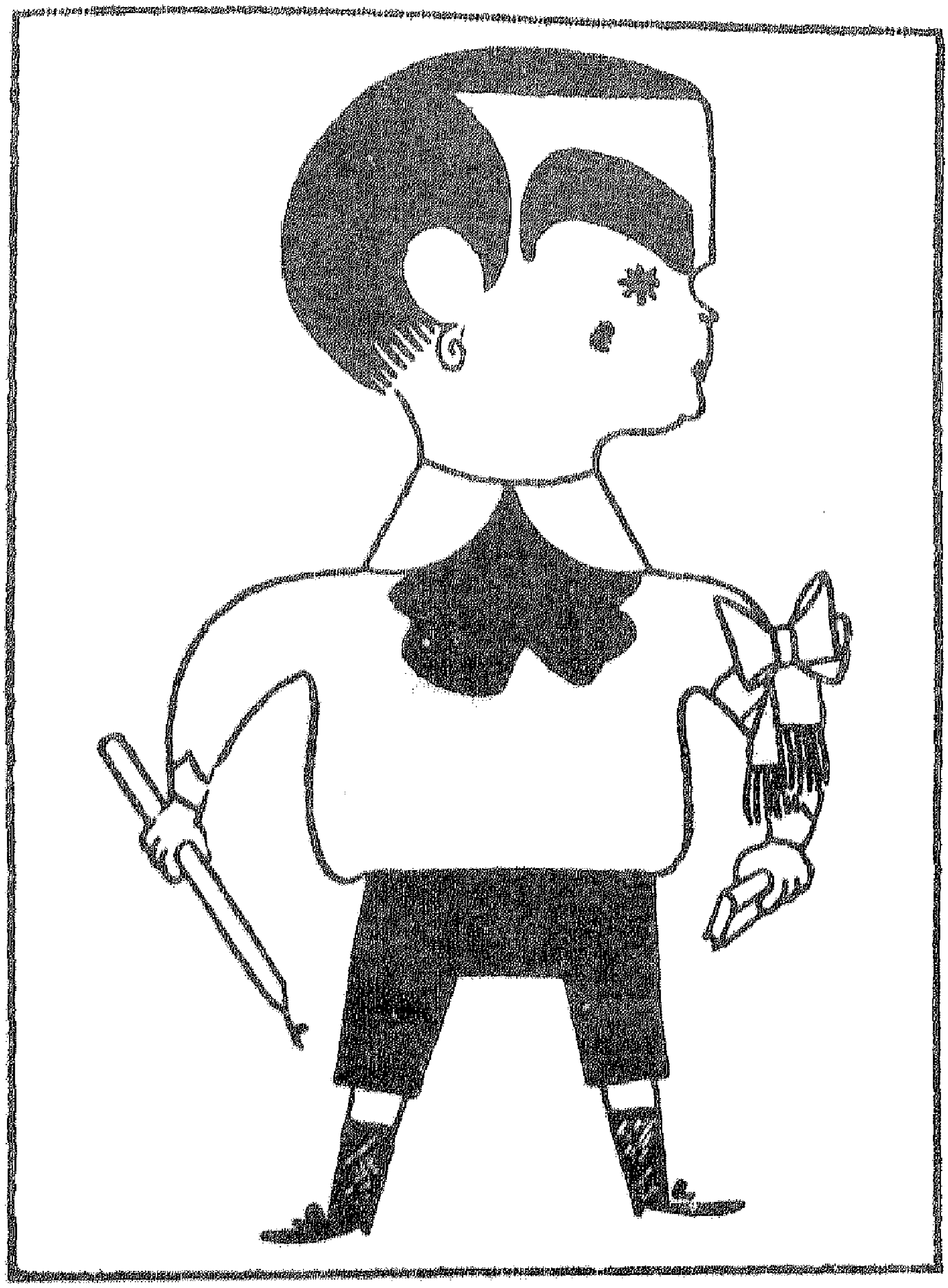

Del Arco
Madrid, 1936

Juan Antonio [Morales]
1937.

Bagaría
Madrid, 10 de junio de 1936.

Gregorio Toledo
1931.

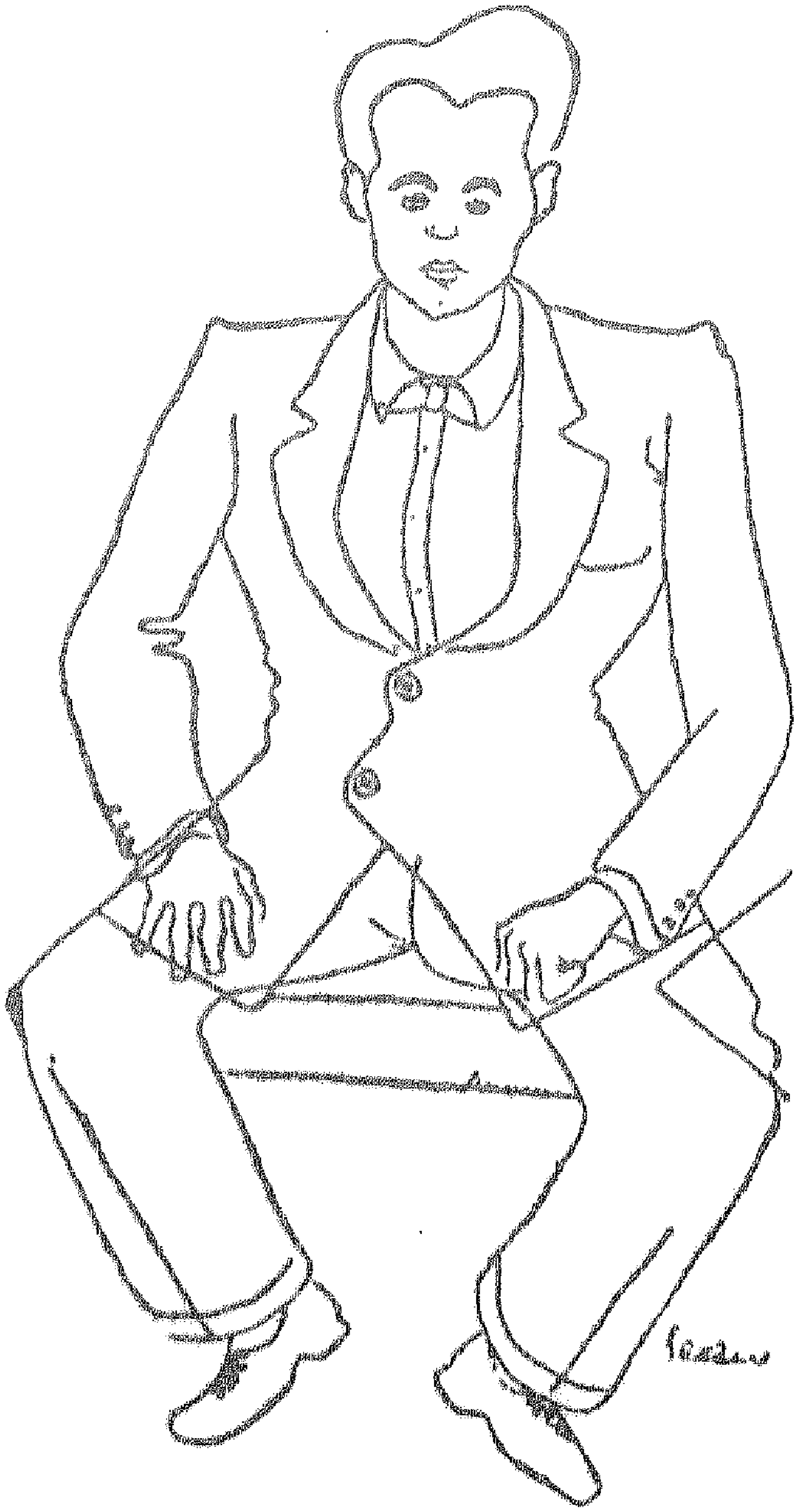

Luis Seoane
Vigo, 1932.

Santiago Ontañón
1927

García Lorca y Dalí

FEDERICO GARCÍA LORCA

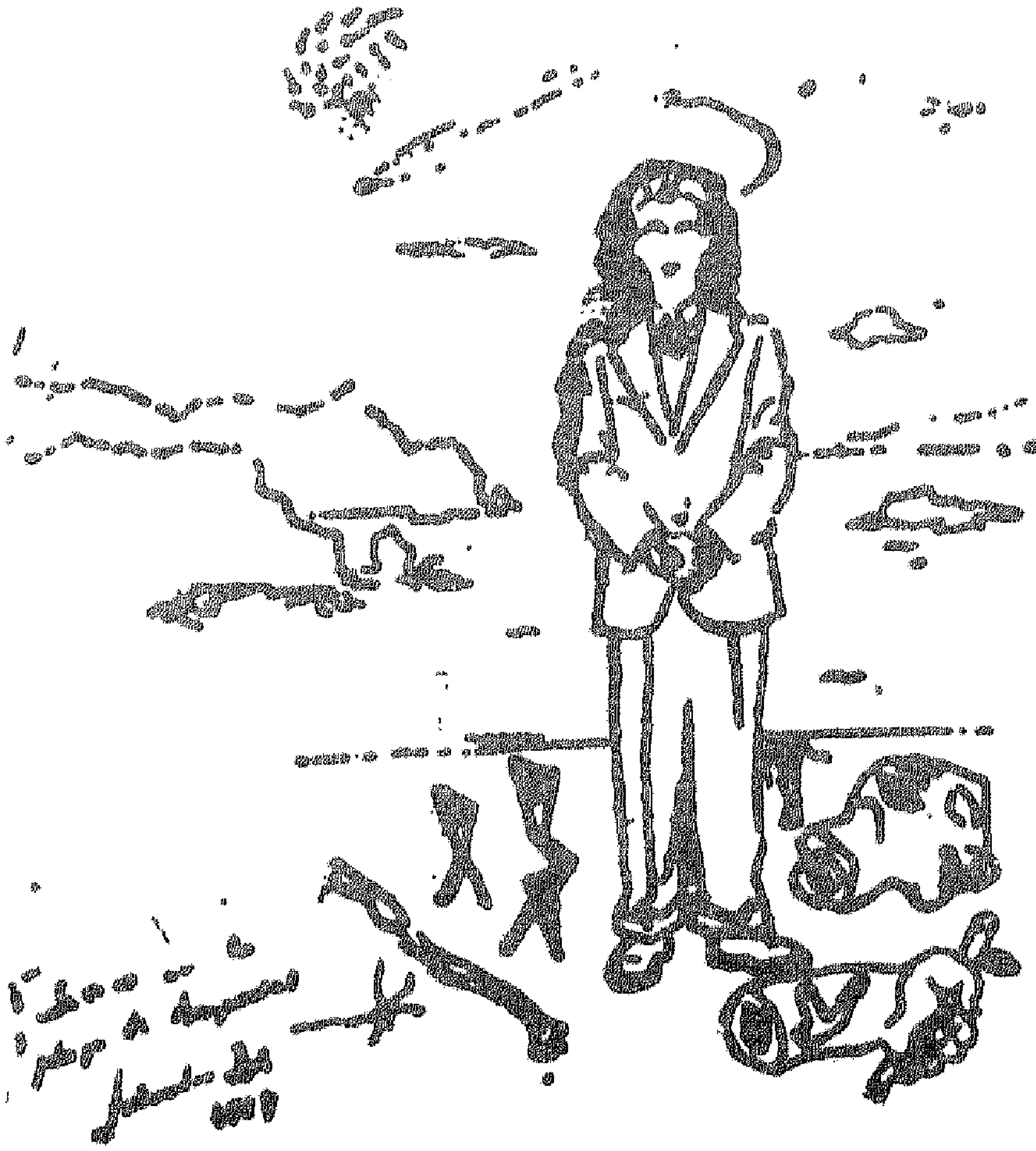

Salvador Dalí
«Federico en la playa
de Ampurias. Salvador Dalí 1927.»

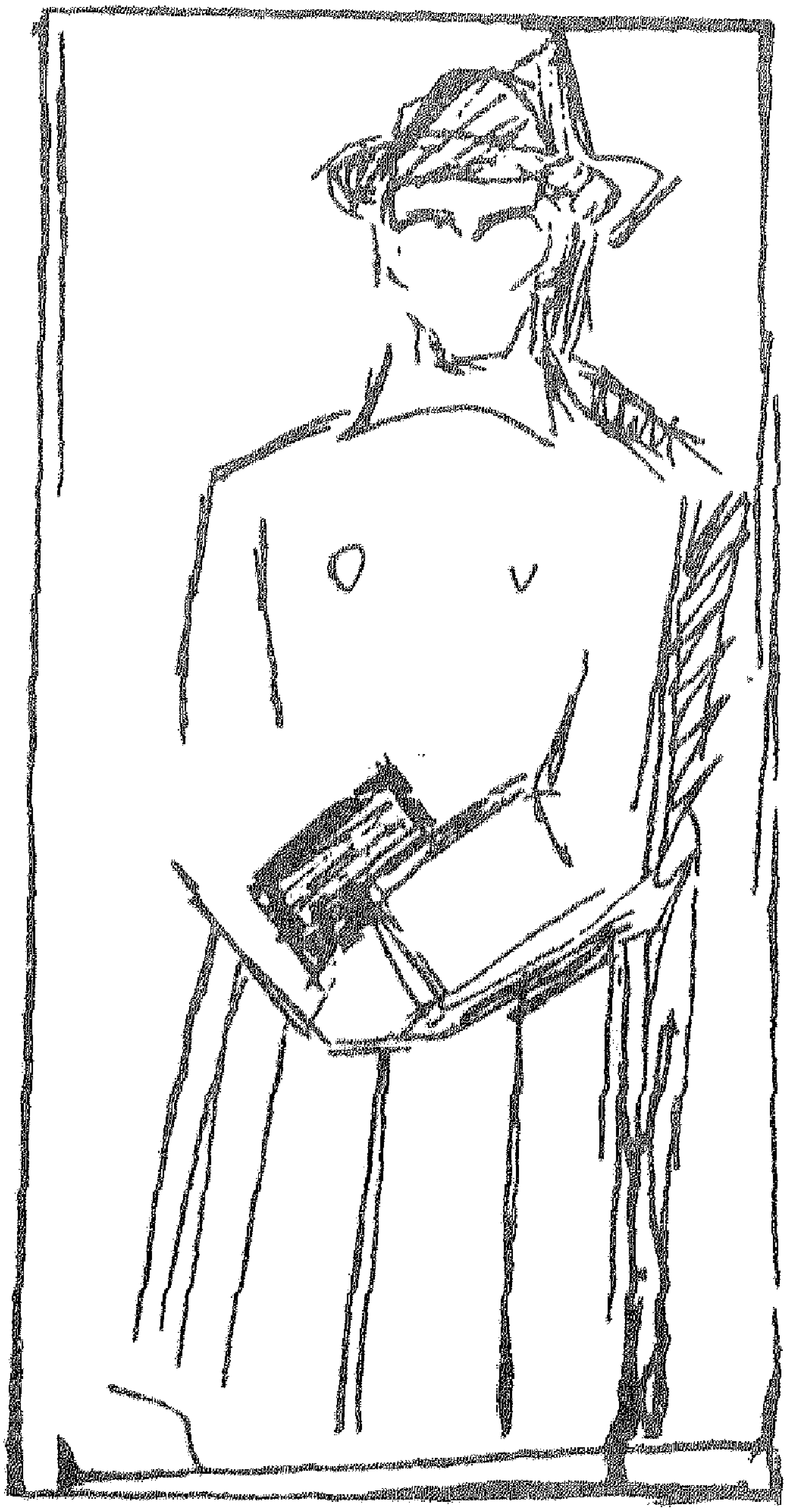

Rafael Barradas
Madrid, hacia 1927.

Santiago Ontañón
1937.

Manuel Angeles Ortiz
Granada, hacia 1920.

Antonio Garrido del Castillo
Granada, antes de 1917.

Antonio López Sancho
Granada, Concurso y fiesta del Cante jondo,
14 de junio de 1922.

الفهـــرس

الإهـــداء 5
التقديـم 7
تقديم الشاعر 9
قصائد أولى 15
ديوان الأغاني العميقة 259
أغنيات أولى 341

الإشـــــراف اللغــــوى : حسام عبد العزيز

الإشـــــراف الفـــــنى : حسـن كـامـل

التصميم الأساسى للغلاف : أســامـة العـبـد

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوعة

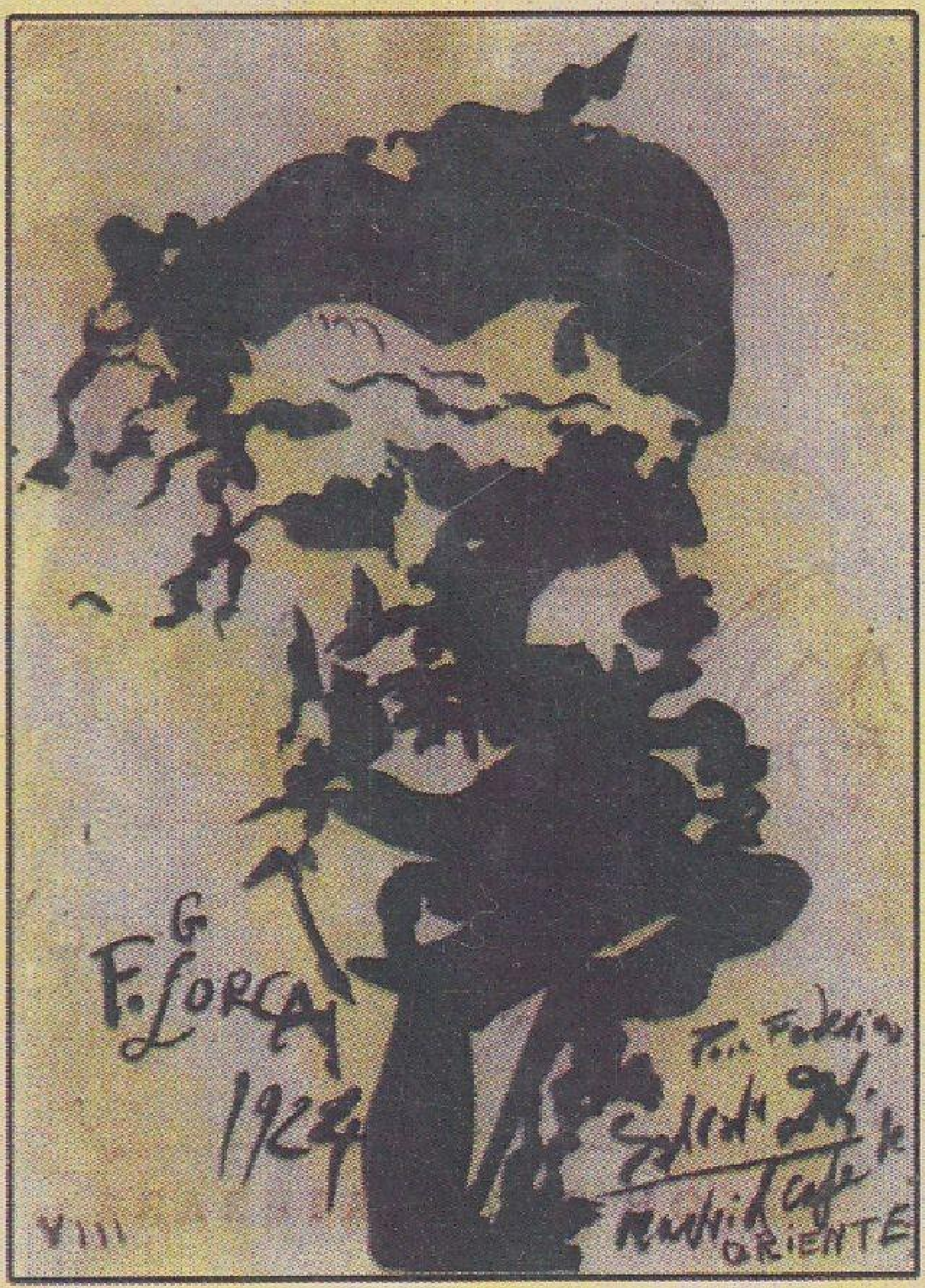

يهتم لوركا فى أعماله بأن يكشف عن الوجه الآخر للأندلس ذلك الذى يعتقد الفيلسوف الإسبانى أورتيجا إى جاسيت أنه يعود إلى ستة آلاف عام قبل المسيح. وقد أصبح لوركا بحق أفضل من حاولوا تأويل هذا الوجه الآخر وفهمه وتحليله، وذلك فى مقال يعد من أهم مقالاته، وهو بعنوان "نظرية الجن الشعرى وحيله".

الأندلس هى أصل العمل الشعرى ومنبعه عند لوركا. وهذا الشيطان الملهم للوحى هو ملاك الشعر لجميع الأندلسيين، بل إن كبار فنانى الجنوب من غجر ومطربى فلامنكو وراقصين وعازفي يعلمون تمام العلم أن أى عاطفة دون مساعدة الوحى هى من ضروب الخيال ومن المستحيلا

تصميم الغلاف: نسرين كشك